إلى كُلِّ أُسرةٍ وأبٍ وأُم

افخروا بطالبِ علمٍ منكم

رِسالةٌ عاجلةٌ إلى كُلِّ أبٍ وأُمٍّ ومُربٍّ ومَسؤولٍ عن الأبناء، ألَّا يَصُدُّوا فَلَذاتِ أكبادِهِم عن رِياضِ العِلمِ ومَجالِسِ العُلماء، بَل ليفتخِروا أنَّهم أخرجُوا للأُمَّةِ حافِظًا لِكتابِ الله، أو طالبًا للسُّنَّة وفي ثناياها ذِكرُ مسألةِ حُكمِ طلبِ العلمِ بِغيرِ رِضى الوالِدَين واشتملَ على ذِكرِ نماذجَ مِن العُلماءِ الَّذين دفعَهُم آباؤُهُم لِطلبِ العِلمِ في الصِّغرِ مع بعضِ النَّصائحِ المُهِمَّةِ للجميع

تأليف

أبي المنذر عمار بن عبد الجليل بن قزاع الوزني الحوباني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

إلى كل أسرة أب وأم

افخروا

بطالب علم منكم

رسالة عاجلة إلى كل أب وأم ومرب ومسؤول عن الأبناء: ألا يصدوا فلذات أكبادهم عن رياض العلم ومجالس العلماء، بل ليفتخروا أنهم أخرجوا للأمة حافظًا لكتاب الله، أو طالبًا لسنة رسول الله ﷺ.

وفي ثناياها ذكر مسألة حكم طلب العلم بغير رضى الوالدين، واشتمل على نماذج من العلماء الذين دفعهم آباؤهم لطلب العلم في الصغر، مع بعض النصائح المهمة للجميع.

تأليف

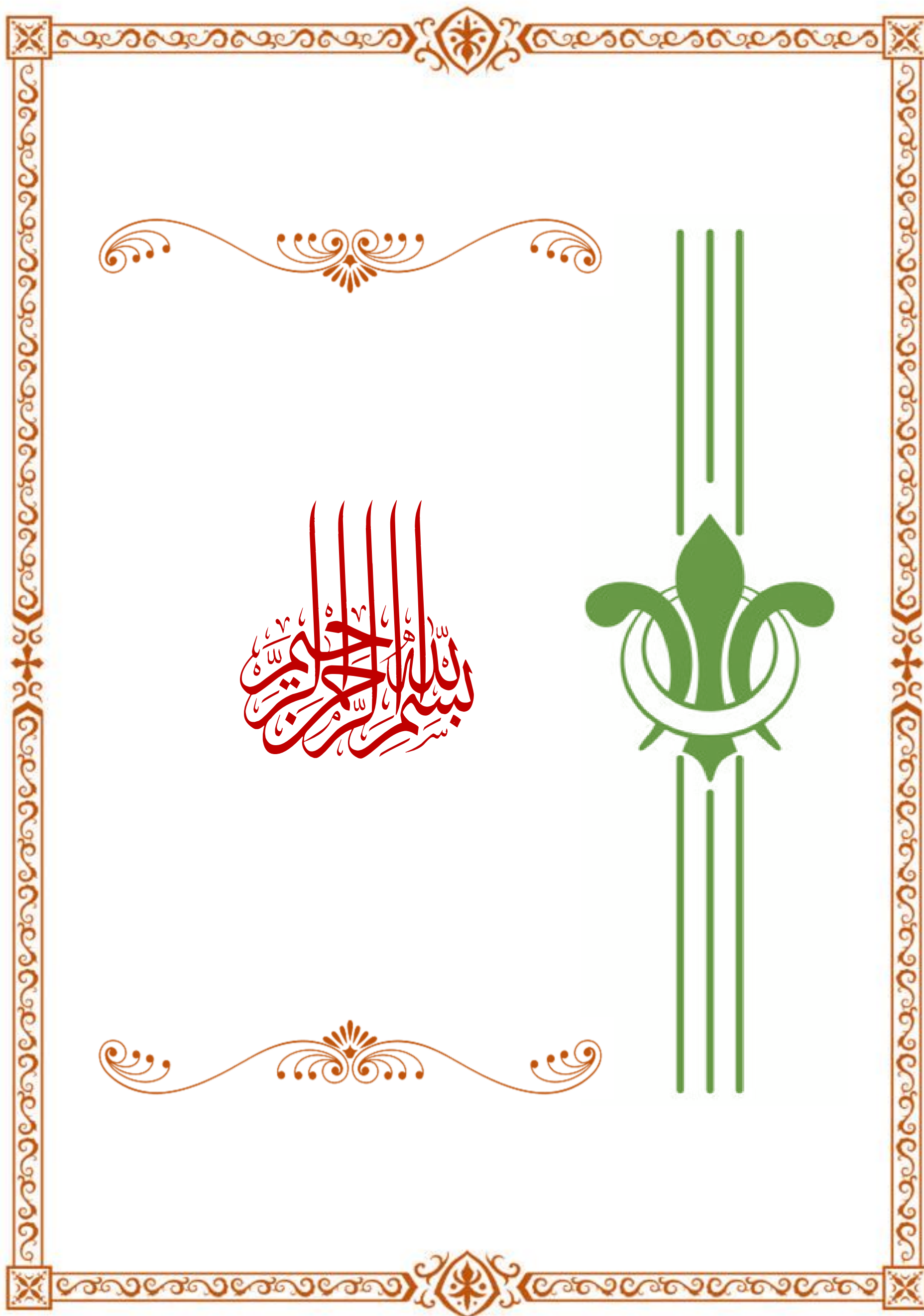
أبي المنذر عمار بن عبد الجليل الحوباني

غفر الله له ولوالديه



الطبعة الأولى:

١٤٤٧ هـ ـ ٢٠٢٥ م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رفع شأن العلم وأهله، وجعل طلبه عبادة وقربة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الآباء والأمهات، يا من تحرصون على فلذات أكبادكم، اعلموا أن أشرف ما تفخرون به يوم القيامة ليس المال الذي ورثتم، ولا الجاه الذي خلّفتم، وإنما صلاح الأبناء وحملهم لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

جاء عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لَا تُقَوَّمُ بِهِمَا الدُّنْيَا.

فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا هَذَا ؟



فَيُقَالُ بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ»(١)

فكيف يزهد عاقل في مثل هذا الفخر العظيم؟

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٢)

فهذه هي حقيقة الفخر الذي يبقى، والمجد الذي لا يزول: ولدٌ صالح، قارئ للقرآن، طالب للعلم، عامل به، نافع لأمته.

فمن فاته هذا الفضل، فقد ضيّع على نفسه وأمته فخرًا في الدنيا، وتاجًا ووقارًا في الآخرة.

أيها الناس إن من أعظم النعم التي امتنّ الله بها على عباده نعمة الهداية إلى العلم الشرعي، الذي به يعرف العبد ربَّه ومولاه، ويميّز بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، والحق والباطل.

وإنه لشرف لا يُدانيه شرف، ومقام لا يعلوه مقام، أن يُنتسب المرء –ابنًا كان أو ابنة– إلى ميراث الأنبياء، ويُعدّ من حملة الوحي وأمناء الشريعة.

وقد ابتُلي كثير من أبناء المسلمين وبناتهم في هذا العصر بعقبة كؤود في طريق طلبهم للعلم الشرعي، ألا وهي عقبة أُسَرهم وذويهم، الذين يَحولون

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (١٥٥٢) عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحسنه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ١٦٩).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



بينهم وبين التفرغ للتعلم والتفقه، بزعم أنّ ذلك إضاعة للمستقبل، وحرمان من الوظائف والرواتب، ومصادمة لواقع الحياة المادي.

وهذه شبهةٌ خطيرة، ناشئة عن جهل بمكانة العلم، وضعف يقين بأن الأرزاق بيد الله وحده.

وليس المراد بهذه الرسالة انتقاص حق الوالدين، أو الانتقاص من قدر البر الواجب لهما، بل المقصود بيان أن برّ الوالدين لا يتعارض مع طلب العلم، بل هو من تمامه وكماله، فإن صلاح الابن أو البنت بعلمهما وعملهما من أعظم ما يرفع الله به درجة الوالدين، ويجعل لهما الأجر الجاري بعد موتهما، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١)

إن بعض الآباء والأمهات -غفر الله لهم- لا يدركون أنّ منعهم أبناءهم أو بناتهم من العلم الشرعي ليس حفاظًا على مستقبلهم، بل إهدار لأعظم مستقبل ينتظرهم، ألا وهو مستقبل الآخرة.

فالمستقبل الحق هو النجاة من النار، والفوز بالجنة، أما الدنيا فإنها ظل زائل، ومتاع قليل، لا يدوم لصاحبه إلا ريثما يبلغه الأجل.

إنّ المجتمع كلّه بحاجة إلى طلاب العلم من البنين والبنات، فهم الذين

---

(١) رواه مسلم برقم (١٦٣١) في «كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته».

يحمون عقائد الناس من الانحراف، ويبيّنون لهم الأحكام، ويقودونهم إلى الله على بصيرة.

وأيّ خسارة أعظم من أن تُحرم أمة الإسلام من جيلٍ من أبنائها أو بناتها بسبب نظرة مادية قاصرة؟!

ومن هنا جاءت فكرة هذه الرسالة، لتكون نداءً صادقًا إلى الوالدين والأهل، أن يفتخروا بولدهم أو ابنتهم إن سلكوا طريق العلم، وأن يعلموا أن في ذلك رفعةً لهم في الدنيا، وذخراً لهم في الآخرة، وأن يتيقنوا أنّ الرزق بيد الله، وأنّ مَن طلب العلم الشرعي لم يُضيّع مستقبله، بل اختار المستقبل الأبقى والأعظم.

وقد كثر السؤال لأهل العلم في هذا الباب من قِبَل كثيرٍ من الأبناء والبنات الذين وُوجهوا بالمنع أو الاعتراض من والديهم وأوليائهم، فكانت أجوبة العلماء شاهدةً على وسطية الشريعة، وحكمتها في الجمع بين تعظيم حق الوالدين وتعظيم شأن العلم.

وهذه الرسالة حلقة في هذا السياق، تسعى إلى تقريب المسألة، وتبيين أن العلم والبر لا يتعارضان إلا عند غياب الفقه الصحيح.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه وقارئه، موجبًا لرضاه، سببًا في هداية والدٍ أو والدة، أو قريبٍ أو قريبة، إلى إدراك مكانة العلم الشرعي، وتشجيع أبنائهم وبناتهم على طلبه.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

كَتَبَهُ

أبو المنـــــذر

عـمـار بن عبـد الجليل

ابـــن هـــزاع الـــوريـــــفـــــي

الحـــــــــــوبـــــــانـــــــي

عَــفَا اللهُ عَنْـــهُ، وَغَفَـــرَ لَهُ وَلِـوَالِـدَيْــــــهِ.

دار الحـديـث السـلـفـيـة بشـحـوح -سيئـون-حـضـرموت

لـــســـــنـــة ١٤٤٧ مـن هـــجـرة النَّبِيّ مـــحـــمــــد- ﷺ-.

بيان معنى «المستقبل»:

ما المقصود بالمستقبل؟

الجواب: هو ما يَؤول إليه أمرُ العبد، وهو نوعان:

الأول: دنيويّ: رزقٌ ومعاش، دراسةٌ ووظيفة، صحةٌ وأمن... كلّها في دارٍ فانية.

والثاني: أُخرويّ: المآل الأبدي بعد الموت: جنّةٌ أو نار، ورضوانُ الله أو سخطه.

الأصلُ أن يحكم الأخرويُّ الدنيويَّ؛ فنأخذ من أسباب الدنيا ما يُعين على وجهة الآخرة، ولا نجعل الوسائل غاياتٍ تُنسي القرار الحقيقي.

أولًا: المستقبل الدنيوي (وسيلةٌ مأذونٌ بها بقدرها)

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

بابُ السعي مفتوحٌ ومباح بعد أداء حقّ العبادة؛ فالمعاش يُطلَب، لكن تحت سلطان الذكر والطاعة.

العلمُ الدنيوي والعملُ بعد الصلاة أمثلةٌ لسعيٍ مضبوطٍ بالشرع، لا يُلهي

عن المقصد الأعلى.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

المستقبلُ المعيشيّ يُؤتَى من باب التقوى؛ فالرزق بيد الله، والعلمُ الشرعي يهدي إلى الحلال ويُباعد عن الحرام، فيُبارَك في الدخل والوقت والطريق.

قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠].

من حصـــر إرادته في الدنيويات أُعطي منها على قَدَرٍ، لكن بلا حظٍّ من الآخرة؛ فالنيّةُ تُحدِّد أيَّ مستقبلٍ تختار. لذلك وجب تصحيحُ المقاصد قبل تحصيل الوسائل.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة هود:١٥-١٦].

تحذيرٌ صريح: حصرُ الإرادة في الزينة يضيّع المآل الأبديّ. المطلوبُ أن تُساق الدنيوياتُ إلى خدمة الآخرة، لا أن تستبدَّ بالقلب وتقطع الطريق.

ثانيًا: المستقبل الأُخروي (الوجهة والمقصد)

قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

ميزانٌ قاطع: الآخرة خيرٌ نفعًا، أبقى زمانًا.

العاقل يعيد ترتيب أولوياته على هذا الميزان، فيجعل طلبَ العلم الذي يهدي إلى الله رأسَ مشاريعه.

قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

كلُّ لقبٍ وشــهادةٍ ومالٍ يفنى؛ ويبقى ما عُقِد لله: علمٌ يُتوارَث، وعملٌ صالحٌ لا ينقطع.

فالمستقبلُ الذي لا يخون هو ما أُودِع «عند الله».

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

عند الحساب تسقطُ الأوراقُ الدنيوية وتبقى سلامةُ القلب، وطريقُها العلمُ الذي يُصحّح الاعتقاد ويُهذّب العمل.

هنا يتبيّن فضلُ من قدّم علمَ دينه.

قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩].

التسميةُ الفاصلة: الدنيا متاعٌ، والآخرة قرار.

من أحسن التخطيطَ للقرار -بالعلم والإيمان- أحسن عمارةَ المتاع تبعًا لا أصلاً.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩].



الآخرة لا تُنال بالتمنّي؛ لها سـعيٌ مخصـوص على هُدى الإيمان، وطلبُ العلم الشرعي من أعظم هذا السعي؛ لأنه يصحّح الوجهة ويقوِّم الطريق.

فضل المستقبل الحقيقي

الناس في حياتهم يختلفون في الموازين التي يزنون بها المستقبل:

فمنهم من يراه في المال.

ومنهم من يراه في البنين.

ومنهم من يعلّقه بالمناصب والشهادات.

غير أن الله جل وعلا أرشد عباده إلى الميزان الحق، فلا يغترّوا بما يزول ويبطل أثره عند الموت.

فالدنيا مهما حسنت فهي زينة عابرة، لا تدوم ولا ترافق صاحبها إلى قبره.

ولذلك ضرب الله الأمثال في كتابه، وبيّن للعباد أن ما يبقى لهم حقًّا هو ما أخلصوه من عمل صالح، وأن كل زخارف الدنيا إنما خُلقت للابتلاء والاختبار.

فالقلب العاقل لا يعلّق رجاءه بزينة زائلة، بل يمدّ بصره إلى ما هو أبقى وأعلى.

وهنا جاءت هذه الآية الكريمة لتفصل بين معيار الزينة الفانية، ومعيار الباقيات الصالحات التي تدخر ليوم الحساب.

قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ

رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

هذه الآية ترسم معيار المستقبل: الزينة إلى فناء، والباقيات إلى بقاء.

المال والأولاد والشهادات مظاهر حُسن، لكنها لا ترافق صاحبها إلى اللحد.

أما ما يبقى فهو صالحُ العمل، ومن أعلاه تعلُّمُ الدين وتعليمه.

من قدَّم الباقي على الزائل ربح يوم لا ينفع مال ولا جاه.

وطلبُ العلم الشرعي من صُلب «الباقيات»، إذ يورث عملًا ودعوةً وأجرًا جاريًا.

فليكن رجاء الأسرة في الأجر الدائم لا في الزينة العاجلة.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

يميل القلب إلى الملموس من جاه ومال ومنصب، وذلك كله متاع.

لكن حسنُ المرجع عند الله لا يُنال إلا بصحبة العلم والعمل.

من نافس في الدنيا فليفُز بحسن المآب، وأقصرُ طريقة هو العلمُ الموصِلُ إلى التقوى.

السباق الحق ليس إلى وظيفةٍ ودنيا زائلة، بل إلى مرضاة الله.

والعلم الشرعي يُهذِّب السباق الدنيوي ويجعله وسيلة لا غاية.

فمنتهى الفخر أن يُقال: تعلّم فاهتدى وأهدى.

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [سورة الكهف:٢٨].

مجالسُ الذكر والعلم تحتاج صبرًا على طول الطريق، فمن صبر اليوم على حلقة العلم، فرح غدًا بثوابها الباقي.

وفيها وعدٌ ضمنيٌّ للأهل: أن أثر هذه المجالس يعود عليهم نفعًا ورفعة.

فالصحبة الصالحة رافعةٌ في الدنيا، موصلةٌ للآخرة.

وقال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [سورة الحديد:٢٠].

وصْفٌ دقيقٌ لمَسار الدنيا: بهرجٌ يتبعه ذبول.

والعاقل يحوِّل الزمن إلى حسناتٍ بالعلم والعمل.

الشهادات الدنيوية نِعَمٌ إذا خَدَمَت الدين، وليست ضمانًا للرزق.

كم من خرّيجٍ لم يجد وظيفة، وبقي يجهل شروط الوضوء والصلاة.....إلخ، وكم من طالبِ علمٍ رزقه الله فقهًا ورزقًا وبركةً في عمره.

فالمستقبل الحق يُقاس بما يدوم في صحيفة العبد.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

عند العرض على الله تسقط الألقاب والأوراق وتبقى الحقائق، فسلامةُ القلب أعظمُ «شهادةٍ» تُنجي، وطريقها العلمُ الذي يورث خشية، لا تُعوَّض سلامة القلب بمنصبٍ أو راتب.

وما لم يُهذِّب العلمُ الدنيويّ القلبَ، كان على صاحبه وبالًا.

فأكرم طريقٍ لتزكية القلب: تعلُّمُ دين الله والعمل به.

وهنا يظهر فضل الوالد الذي يفتح باب العلم لولده.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [سورة التوبة:٣٨].

سؤالٌ إلى كل عاقل: أتقايضون الكثيرَ بالأقل؟

الخوفُ على «مستقبلٍ دنيويّ» لا يبرر إغلاق باب المستقبل الأبديّ.

ومن رُزق عقلًا قدّم الكثير الذي لا يزول.

وقال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: ١٦–١٧].

الآية تكشف سرّ الانحراف: إيثار العاجل على الآجل.

والدواء: تذكيرُ القلب بأن الآخرة خيرٌ وأبقى.

طالبُ العلم يتربّى على هذه المفاضلة كلَّ يوم، والأهل يشاركونه الأجر إذا أعانوه، هكذا تُبنى بيوتٌ تُؤثر البقاء على الفناء.

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ ﴾ [النحل: ٩٦].

هذه قاعدةُ الاستثمار الأبديّ: ما عندنا ينقضي، وما عند الله يبقى.

كلُّ شهادةٍ أو منصبٍ إن لم يُوصِل إلى الباقي، ففرحُه قصير.

وهذا هو الربح الحقيقيّ للأسرة.

وقال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [سورة غافر:٣٩].

دارُ الاستقرار معلومة، ودارُ المتاع مؤقتة.

والعلمُ الشرعي يُعين على حسن التخطيط للقرار الأبديّ، أما الانشغالُ الحصريّ بالدنيا فغفلةٌ عن المحطّة الأخيرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩].

الآخرة تُنال بإرادةٍ صادقةٍ وسعيٍ على منهاج الإيمان.

وطلبُ العلم من أصدقِ السعي؛ إذ يُصحِّحُ القصدَ والعمل.

الشكرُ الرباني لهذا السعي أعظمُ من كل تهنئةٍ دنيوية، فلْيُعنِ الأهلُ أبناءَهم على هذا السعي المشكور، فبذلك تُكتب لهم الحظوظُ في الدنيا والآخرة.

فضل العلم في القرآن والسنة

الفصل الأول: فضل العلم في القرآن.

إنَّ العلم من أشــرف ما يتزين به الإنســان، به يَعرِف ربه، ويُبصــر طريقه، ويهتدي إلى ســواء الســبيل، وهو النور الذي يبدّد ظلمات الجهل، والميزان الذي تُوزن به الأقوال والأعمال.

وقد رفع الله من قدر أهله، وأثنى عليهم، وجعلهم شــهداء على أعظم القضايا.

والقرآن الكريم مليء بآيات تبين مكانة العلم وأثره، وتدلّ على أن العلماء هم أهل الخشية، وأصحاب الفهم، وحملة الأمانة.

فتمجيد الله للعلماء في كتابه دليل على أن العلم عبادة وقربة، لا مجرد معرفة عقلية، ومن سلك سبيله فقد ارتقى إلى أشرف المنازل

وإليك بعضا من فضائله في كتاب الله:

العلم رفعة وشرف

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١].

الرفعة الحقيقية لا تكون بالمال ولا بالجاه ولا بالمنصــب، وإنما بالعلم الذي يزين صاحبه ويكرمه عند الله والناس.

فالمؤمن إذا جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله على ســائر الخلق، وجعل له المنزلة العالية في الدنيا والآخرة.

وهذه كرامة يختص الله بها أهل العلم، ليكونوا قادة الناس وأئمتهم.

العلم تمييز بين البصير والأعمى

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

العلم نور، والجهل ظلام، والعالم بصير والجاهل أعمى. فلا يستوي من عرف ربه ودينه وعمل بما علم، مع من عاش غافلًا جاهلًا يتخبط في الظلمات.

فهذه الآية تقرر قاعدة عظيمة: أن ميزان التفاضل بين الناس إنما هو العلم، لا ما سواه من حطام الدنيا.

العلم حياة للقلوب

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

شــبه الله الجاهل بالميت الذي لا حياة فيه، فإذا نُوّر قلبه بالعلم صــار حيًّا يمشي بين الناس بنور يهتدي به ويهدي غيره.

فالعلم حياة الروح كما أن المطر حياة الأرض، ومن فقد العلم فهو جسد بلا روح، وإن كان يمشي على قدميه بين الأحياء.

العلم قرين الخشية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

العلماء هم أهل الخشية الحقيقية، لأنهم أعلم الناس بالله وأسمائه وصفاته، ومن كان بالله أعرف كان له أخوف.

فالعلم ليس كلمات تحفظ، وإنما معرفة تورث رهبة وهيبة، تُثمر طاعة وتقوى، وكلما ازداد العبد علمًا ازداد لله خشية، وهذه هي علامة العلم النافع.

العلم نور البصيرة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ [سورة فاطر:١٩].

جعل الله الجاهل أعمى والعالم بصيرًا، لأن العلم هو الذي يفتح البصائر ويجعل للإنسان عينًا قلبية يُميز بها بين الحق والباطل.

فالذي يسير بغير علم يسير في ظلمات، لا يهتدي إلى الطريق ولا يعرف وجهه.

أما العالم فيمشي بنور البصيرة، فيسلم ويسلم به غيره.

العلم أصل التوحيد

قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

بدأ الله بالعلم قبل سائر الأعمال، لأن التوحيد لا يتحقق إلا بمعرفة وعلم.

فالعلم أصل كل عبادة، وهو الذي يصحح القول والعمل.

ومن طلب الجنة بلا علم ضل، ومن عبد الله على جهل أخطأ، وإنما تُبنى

العبادات كلها على أساس العلم الراسخ.

العلم دعاء الأنبياء

قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

ما سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ربه زيادة في شيء من الدنيا، وإنما سأل الزيادة في العلم، إشارة إلى شرفه وعظم منزلته.

ولو كان في الدنيا ما هو أعظم من العلم لأُمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل ربه زيادته.

فكان هذا أعظم تكريم للعلم وأهله، ودليلًا على أن الازدياد منه غاية لا تنتهي.

العلم فهم القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

الأمثال القرآنية لا يفهم حكمتها ولا يدرك مرادها إلا العلماء.

فالعلم هو المفتاح الذي يفتح معاني القرآن، وهو النور الذي يضيء تدبره.

ومن حُرم العلم وقف عند الألفاظ ولم يتجاوزها، أما العالم فإنه ينفذ إلى المعاني ويهتدي بنور الوحي.

العلم شهادة عظيمة

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٨].

أعظم شـهادة في الوجود هي شـهادة التوحيد، وقد قرن الله شـهادة العلماء بشهادته وشهادة ملائكته.

وهذه منزلة ما بلغها أهل المال ولا السـلطان، وإنما خُص بها العلماء لصدق علمهم وقوة يقينهم.

وهذا وحده يكفي شرفًا للعلم وأهله.

العلم خشوع القلوب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧].

أهل العلم إذا سـمعوا القرآن ازدادوا خشـوعًا، وانكسـرت قلوبهم هيبة لله، لأنهم يدركون عظمة الخطاب وعِظَم قائله.

فالعلم يزيد صاحبه خضوعًا لا كبرياء، ويثمر له ذلًا لله لا عزة بالنفس.

وهذه علامة العالم الرباني.

العلم ميراث النبوة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧].

الأنبياء هداة الخلق، وقد ورث العلماء عنهم هذا المقام، فهم هداة الأمة بعدهم.

فكل من تعلم العلم الشرعي صار وارثًا لرسالة النبوة بقدر ما حمل.

وهذا يبين أن العلم ليس شـرفًا شـخصـيًا فحسـب، بل هو وظيفة عظيمة

ومسؤولية جسيمة.

العلم نور الهداية

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

العلم المأخوذ من كتاب الله هو النور الذي يهدي الناس سبل السلام.

فمن تمسك بالقرآن علمًا وعملاً خرج من الظلمات إلى النور.

فالهداية لا تنال بالظن ولا بالتقليد الأعمى، وإنما بالعلم المبني على وحي الله.

العلم أمان من الضلال

قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١٢٢].

جعل الله طلب العلم فريضة على الأمة، حتى تقوم به طائفة تنذر الناس وتعظهم.

فبالعلم تحفظ الأمة من الانحراف، ويُقام بها دين الله، ولو ترك الناس العلم لعم الجهل، وانتشر الضلال.

فكان العلم حارسًا للأمة ووقاية لها من الانحراف.

العلم زينة لأهله

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)﴾ [الملك: ٢٣].

هذه الحواس الجليلة إنما خُلقت لتحصيل العلم ومعرفة الحق.

فمن استعملها في العلم شكر نعمة الله، وزين بها قلبه وروحه.

ومن عطّلها عن العلم كان جاحدًا لأنعم الله، قد حُرم زينتها وثمرتها.

فالعلم زينة الإنسان الباقية، وبه يكون شكر هذه النعم.

العلم سر النجاة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢].

دلّت الآية على أن بقاء الأمة قائم بوجود طائفة تتفقه في الدين وتعلم الناس أمر الله ونهيه.

فالعلم سر النجاة، وهو الذي يحفظ الدين من الضياع، ويحفظ الأمة من الهلاك.

ومن ضيّع العلم ضيّع نفسه وأهله ومجتمعه.

العلم باب الرحمة

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا

أَنتَ بِتَابِعٖ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٖ قِبْلَةَ بَعْضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٥].

في هذه الآية إشـــارة إلى أن أهل العلم الحق هم أحق الناس بالهداية والرحمة، لأنهم يعرفون الدليل ويتبعونه.

فالعلم هو الباب الذي تدخل منه رحمة الله، ومن أغلقه على نفســه عاش في حرمان وضلال.

العلم حجة قائمة

قال الله تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

الرســـل جاءوا بالعلم المبين من عند الله، فكان علمهم حجة قائمة على الخلق. فالعلم برهان الله في أرضه، يقيم به الحجة ويقطع به المعذرة.

فمن أعرض عنه قامت عليه الحجة، وكان من أهل الخسران.

العلم أمان من الغواية

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ١٠٠].

جعل الله الرجس نصيب من لا يعقلون، أي من حُرموا العلم والبصيرة.

فالعلم أمان من الغواية، وحصن من الضلال، ومن لم يرزق العلم وقع في الرجس والجهالة.

العلم نور الهداية

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الروم:٥٦].

هذه شهادة أهل العلم يوم القيامة حين يُنكر الكفار البعث، فيقوم العلماء فيشهدون بالحق.

فالعلم نور يهدي في الدنيا، وبرهان يشهد يوم القيامة.

وهذا من أعظم شرفه ومكانته.

العلم سبيل الفقه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

أمر الله أن تقوم جماعة من المؤمنين بطلب العلم، ليعودوا فيفقهوا غيرهم.

فهذا نص على وجوب التفقه في الدين، وأنه سبيل إلى الهداية والنجاة.

فلو خلا الناس من العلماء لضلوا جميعًا.

العلم بشارة كريمة

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة القصص:٨٠].

في قصة قارون تبيّن أن أهل العلم هم الذين أبصروا حقيقة الدنيا، فحين فُتن الناس بماله قالوا: فضل الله خير.

فالعلم يهدي صاحبه إلى الزهد في الباطل، والتعلق بالباقي.

العلم هدى ونور

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

القرآن لا يحمله على الحقيقة إلا أهل العلم، فهو نور في صدورهم، يفقهون معانيه ويحفظون حدوده.

فالعلم ليس أوراقًا تُحفظ، بل نور يسكن الصدر ويضيء حياة صاحبه.

الفصل الثاني: فضل العلم في السنة

طالب العلم صاحب خيرية

عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين»(١).

هذا الحديث أصل في فضل العلم، إذ جعل الفقه في الدين علامة الخيرية من الله لعبده.

فكل من رُزق فهم الدين صار من المصطفَين عند الله.

وفيه دليل على أن الجهل حرمان، وأن أعظم ما يُعطى العبد هو العلم

(١) رواه البخاري برقم (٧١) في «كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». ورواه مسلم برقم (١٠٣٧) في «كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة».

النافع.

طالب العلم سلك طريق الجنة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»(١).

هذا الحديث يبين أن خطوات طالب العلم ليست ضائعة، بل كل خطوة له طريق إلى الجنة.

فمن قصد مجالس العلم أو حمل القلم والكتاب، فإن الله يهيئ له سبيلًا موصلًا إلى رضوانه.

وفيه بشارة عظيمة لطالب العلم أن جهده محفوظ عند الله.

طالب العلم من خير الناس

عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(٢).

هذا الحديث يقرر أن أشرف الخيرية تكون بتعلم القرآن وتعليمه، فهو أصل العلم ومصدر الهداية.

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩) في «كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر».

(٢) رواه البخاري برقم (٥٠٢٧) في «كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه».

فكل من أخذ نصيبًا من القرآن صار من خِيار هذه الأمة.

ومن جمع بين التعلم والتعليم فقد نال أوفى نصيب من الخيرية.

طالب العلم مغبوط

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»(١).

الحسد المذموم محرّم، والحسد في الحديث هي الغبطة، والغبطة في العلم مشروعة، لأن مقام العلم والقرآن مقام يُتمنّى.

فالعبد إذا رأى غيره متنعّمًا بالعلم والقرآن حقّ له أن يغبطه، إذ هذه نعمة تتعدى بركتها إلى الناس.

طالب العلم محمل مسؤولية عظيمة

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته:

«لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(٢).

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٣) في «كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة»، ومسلم برقم (٨١٥) في «كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه».

(٢) رواه البخاري برقم (٦٧) في «كتاب العلم، باب ليبلّغ الشاهد الغائب»، ورواه مسلم برقم (١٦٧٩) في «كتاب الحج، باب حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ».

في هذا الحديث بيان مسؤولية التبليغ، وأن السامع ليس له أن يحتكر العلم، بل عليه نشره.

وهو دليل أن العلم أمانة تُنقل كما سُمعت، ليصل الحق للغائب كما وصل للشاهد.

طالب العلم موعود بالنضارة

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا»(١).

هذا دعاء من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالنضرة والبهاء لمن نقل العلم كما سمعه.

ففيه فضل نشر السنة وعدم تحريفها.

وهو دليل أن العالم والمبلّغ للعلم مأجور بدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له بالنضرة.

طالب العلم أفضل من العابد

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦٥٦) في «كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع»، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٦٠٦).

الْكَوَاكِبِ»[1].

هذا الحديث يوضح الفارق العظيم بين عبادة بلا علم، وعلم مع عبادة.

فالعالم نفعه متعدٍّ للخلق، أما العابد فنفعه قاصر على نفسه، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العالم كالقمر الذي يضيء للناس جميعًا.

طالب العلم يستغفر له كل شيء

عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»[2].

هذا الحديث يبين عموم فضل معلم الناس الخير، حتى الجمادات والحيوانات تدعو له.

فالمعلم نفعه شامل، ولذلك عمّت صلات المخلوقات عليه.

وهذا من أعظم المبشرات لطالب العلم ومعلمه.

طالب العلم توقره الملائكة

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٤١) في «كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم»، الترمذي برقم (٢٦٨١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢١٣).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٦٨٥) في «كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٥/ ٥٠).

يقول:

«إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»(١).

هذا الحديث يُظهر توقير الملائكة لطالب العلم، حتى إنهم يضعون أجنحتهم تواضعًا له.

وهذا غاية في التعظيم والتشريف، دال على مكانة طالب العلم عند الله.

طالب العلم صدقته جارية في حياته وبعد موته

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٢).

هذا الحديث يبين أن العلم النافع من الأعمال التي لا ينقطع أجرها بالموت.

فمن علّم علمًا أو نشره أو صنّف كتابًا، كان له أجره جاريًا ما دام الناس ينتفعون به.

(١) رواه ابن ماجه برقم (٢٢٣) في «المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم»، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١/ ٩١).

(٢) رواه مسلم برقم (١٦٣١) في «كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته».

طالب العلم ينال مثل أجر من اهتدى على يده

عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١).

هذا الحديث أصل في نشر العلم وتعليم الخير؛ فمَن دل غيره على علم أو طاعة فله مثل أجره.

وفيه أن فضل المعلّم عظيم، لأن كل من عمل بعلمه كان له مثل أجره، لا ينقص من أجر العامل شيء.

طالب العلم وجوده في المجتمعات شرف

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول:

«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٢).

يبين هذا الحديث خطورة غياب العلماء، وأن العلم يُقبض بقبض أهله.

(١) رواه مسلم برقم (١٨٩٣) في «كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره».

(٢) رواه البخاري برقم (١٠٠) في «كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ومسلم برقم (٢٦٧٣) في «كتاب العلم».

فإذا خلت الساحة من العلماء، تصدّر الجهال فضلّوا وأضلوا.

فهو تحذير للناس من ترك العلم، وتنبيه للأمة بأهمية حفظ العلماء.

طالب العلم من أحسن الناس رفقا

عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ:

«إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»(١).

هذا الحديث يبين أن مهمة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هي التعليم والتيسير.

فالمعلم الحق هو الذي يرفق بالمتعلمين، ولا يشق عليهم، وإنما يسهل لهم طريق العلم.

ومن هنا كان التعليم من رحمة الله بعباده.

طالب العلم ينال مثل حسنات من علمهم.

عن سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال لعلي يوم خيبر:

«وَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِهُدَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»(٢).

هذا الحديث يقرر أن أعظم مكاسب الدنيا لا تعادل هداية إنسان واحد.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٤٧٨) في «كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا».

(٢) رواه البخاري برقم (٢٩٤٢) في «كتاب الجهاد، باب الدعاء إلى الإسلام والنبوّة»، ومسلم برقم (٢٤٠٦) في «كتاب فضائل الصحابة».

فالمعلم والداعية الذي يهدي الله به شخصًا واحدًا خير له من أغلى متاع الدنيا.

فكيف بمن يهدي الله به مئات وآلافًا؟

طالب العلم من أنصح الناس للمسلمين

عن تميم الداري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ».

قُلْنَا: لِمَنْ ؟.

قَالَ: «لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١).

النصيحة أعظم مظاهر التعليم، فهي تبليغ الخير للناس برفق وصدق.

فجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الدين كلَّه نصيحة، أي تعليم وهداية.

ومن هنا كان طالب العلم والمعلّم قائمًا بأصل الدين، لأنه ينصح لله ولكتابه ورسوله.

طالب العلم خلقه التبشير بالخير والتيسير

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»(٢).

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٥) في «كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة».

(٢) رواه البخاري برقم (٦٩) في «كتاب العلم، باب ما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يتخوّلهم بالموعظة»، مسلم برقم (١٧٣٤) في «كتاب الجهاد».

في هذا الحديث توجيه تربوي للمعلّمين والدعاة: أن التعليم لا يكون بالعسر والشدة، وإنما بالتيسير والبشارة.

فالعلم رحمة، ومن يقدمه بوجه طلق ولسان سهل كان أقدر على نفع الناس.

طالب العلم محي للسنن أوساط المجتمعات

عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(١).

العلم من أعظم السنن الحسنة، فإذا علّم المرء علمًا أو دلّ على خير، كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة.

وهذا يبين أن أثر العلم باقٍ متعدٍّ، بخلاف سائر الأعمال القاصرة.

طالب العلم مكرم من الله

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ»(٢).

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠١٧) في «كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة».

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٣٢٢) في «كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله». وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ١٢٩).

هذا الحديث يقرر أن الدنيا لا قيمة لها عند الله إلا بذكره وعلم يُقرّب إليه.

فأهل العلم وطلابهم هم المستثنون من لعنة الدنيا.

وهذا شرف عظيم لهم، إذ جعلهم الله منارة الهدى في دنيا زائلة.

طالب العلم مجاهد في سبيل الله

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ»(١).

هذا الحديث يرفع منزلة طالب العلم إلى منزلة المجاهد في سبيل الله، لأن كليهما يحمل رسالة نصرة الدين.

فالخروج لطلب العلم عبادة عظيمة، لا يقل أجرها عن الجهاد، بل هو جهاد بالحجة والبرهان.

طالب العلم أفضل من العابد

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(٢).

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦٤٧) في «كتاب العلم، باب ما جاء في فضل طلب العلم»، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٤٦)

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٦٨٥) في «كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.

هذا الحديث يبين أن فضل العالم يبلغ منزلة فوق فضل العابد بكثير، حتى شبّه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ العالم بمنزلته هو على أصحابه.

وذلك لأن نفع العلم متعدٍّ، أما العبادة فنفعها مقصور على صاحبها.

طالب العلم تقلد إرث الأنبياء

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[(١)].

هذا الحديث أصل في بيان منزلة العلماء، فهم ورثة الأنبياء، وحاملوا ميراثهم.

ومن نال نصيبًا من هذا الإرث فقد أخذ خيرًا عظيمًا، لا يساويه مال ولا جاه، بل لا تساويه الدنيا بأسرها.

طالب العلم مبلغ دين الله

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٥/ ٥٠).

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٤١) في «كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم»، والترمذي برقم (٢٦٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣/ ٣١٧).

مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

هذا الحديث يقرر وجوب تبليغ العلم ولو كان يسيرًا. فمن سمع آية أو حديثًا صحيحًا وجب عليه أن يبلّغه. فالعلم أمانة لا يجوز كتمانها، بل الواجب نشره لئلا يضيع الحق بين الناس.

طالب العلم ينزل الله عليه السكينة والرحمة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[2].

هذا الحديث يبين فضل مجالس العلم، فهي مجالس سكينة ورحمة، تذكرها الملائكة عند الله.

ومن أراد البركة فليلزم حلق العلم والقرآن، فإنها رياض الجنة في الدنيا.

طالب العلم يجب أن يعمل بعلمه حتى يكون حجة له

عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٦١) في «كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل».

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٩٩) في «كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر».

فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(١).

هذا الحديث يقرر أن العلم أمانة، يُسأل العبد عنها يوم القيامة:

هل عمل بما علم؟

وهل علّم الناس؟

فهي مسؤولية عظيمة تحتم على طالب العلم أن يخلص في طلبه وتعليمه.

العالم يستغفر له من في السماوات والأرض

عَنْ قَيْسِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: مَا جِئْتَ إِلَّا فِي طَلَبِ هَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٢).

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤١٧) في «كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص»، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٨٦).

(٢) جامع الترمذي - أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في

هذا الحديث يقرر أن اســتغفار الخلق يشــمل طالب العلم، من الملائكة إلى الحيتان في البحر.

وهذا دليل عظيم على مكانته، إذ صار نفعه عامًا لكل المخلوقات.

طالب العلم يباهي الله به

عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: وَإِنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ:

«مَا أَجْلَسَكُمْ؟»

قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا.

قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟»

قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ.

قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ»(١).

هذا الحديث يبين فضـل اجتماع أهل العلم والذكر، حتى أن الله يباهي بهم الملائكة.

فمجالس الذكر والتعليم ليســت مجالس عادية، بل لها مكانة عظيمة عند الله.

فضل الفقه على العبادة

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٠١) في «كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر».

طالب العلم مكرم بدعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له بالخير

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول:

«نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»(١).

هذا الحديث يبين فضل نشر السنة كما سمعها المرء، دون تحريف ولا تقصير.

وقد يحمل شخص علمًا ويبلّغه لمن هو أفقه منه، فيكون سببًا في نشر الخير ورفع الجهل.

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٦٠) في «كتاب العلم، باب الحث على تبليغ العلم»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣/ ٣١٧).

العلم زينةٌ للوالدين والأولياء

رفعة الاسم ودوام الذِّكر

العلم يجعل الأسـرة تُعرَف بالخير، ويجعل للوالدين أو الوليّ نصـيبًا من كل درسٍ يُلقى وكل قلبٍ يُهتدى.

الذِّكر العلمي أبقى من ذِكر المال والجاه، لأنه يتوالد مع كل متعلّم.

أمانٌ من الانحراف في البيت

وجود طالب علم في الأسـرة صـمّام أمان: يُميِّز الحلال من الحرام، ويردّ الشُّبه، ويهذّب الأخلاق، فتقلّ المشكلات السلوكيّة والدينيّة داخل البيت.

نفعٌ متعدٍّ إلى الأقارب والجيران

الأسرة كلها تنتفع: سؤالٌ في فقه الطهارة، أو تربية الأبناء، أو نزاعٌ يحسمه علمٌ وبصيرة. طالب العلم يوفّر على أهله وقتًا ومالًا وجهدًا.

بركةٌ في الرزق والوقت

العلم يُحسِّن إدارة الوقت ويُهذِّب العادات، فيرتّب الطالب أولوياته فيُنتج أكثر ويُنفِق أحكم.



ومع التقوى تُفتح أبواب اليسر ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾.

رأس مالٍ معنوي للأسرة

في الأزمات، يحتاج الناس إلى كلمةٍ مُحْكَمَة؛ والأســرة التي فيها طالب علم تملك «رأس مالٍ معنويًّا» يَصعُب تعويضه، يهدِّئ النفوس ويقود القرار.

قدوةٌ حسنة للبنين والبنات

حين يرى الصـغارُ أخاهم أو أختهم على طريق العلم، ينشـؤون على محبة المساجد والكتب، فتنمو فيهم المروءة والانضباط والحياء.

عزوةٌ يوم الشدائد

إذا نزلـت النوازل -عقديةً أو فقهيةً أو أخلاقية- كـان طالـب العلم ملاذًا يُقوِّم المسار ويضبط الفتوى من مصادرها الصحيحة.

علماء دفعهم أباؤهم لطلب العلم

يا أيها الأب الكريم، يا من أودع الله بين يديك قلبًا غضًّا، وعقلًا ناميًا، وروحًا طاهرة، اعلم أن ولدك صفحة بيضاء، تكتب فيها ما تشاء، وتغرس فيها ما تحب، فاحرص أن تكون كلماتك أول مداد يُسطَّر فيها، وأن يكون غرسك أول ما يزهر في بستانه.

يا أيها الأب المبارك، إن الناس يتنافسون في أن يورّثوا أبناءهم المال والجاه، لكنك إن أورثت ابنك العلم فقد أعطيته ميراث الأنبياء، وذخر الأتقياء، وما أعظم أن تخلّف في الدنيا ولدًا عالمًا، يرفع الله بك درجتك، ويجري عليك ثوابه في حياتك وبعد مماتك.

يا أيها الأب، إن الكلمة التي تقولها لولدك وهو صغير، ربما تعيش في قلبه ما عاش، فقل له: "يا بني، العلم طريق الشرف، وهو تاج على الرأس، ومنزلتك بين الناس بقدر ما تحفظ وتفهم". رددها عليه، وذكّره بها، يترسخ معناها في قلبه، وتكون له دافعًا يوم تضعف نفسه، أو يثقله الهوى.

يا أيها الأب، لا تظن أن التشجيع كلامٌ عابر، بل هو حياة تُبعث في قلب ولدك كلما سمعه منك. فابتسم له وهو يحمل كتابه، وأثنِ عليه إذا رأيته يحفظ حديثًا أو يتعلم مسألة، وأشعره أن سعيه في العلم أعظم عندك من كل متاع

الدنيا.

يا أيها الأب، إن ولدك يتأثر بفعلك أكثر من قولك، فكن له قدوة في حب العلم، أظهر أمامه توقيرك لأهل العلم، وحرصك على مجالسهم، وشوقك إلى كتبهم، فإن الولد إذا رأى في أبيه صدق الاهتمام أورثه ذلك محبة وتقديرًا، ولو لم تعظه بكلمة.

يا أيها الأب، لا تحرمه من الدعاء، فدعوة صادقة منك في جوف الليل أن يفتح الله عليه، قد تفتح له أبوابًا من الفهم والبركة ما لم تفتحه له كتب ولا مدارس.

يا أيها الأب، علّمه أن طلب العلم عبادة، وأنه سبيل القرب من الله، لا مجرد حرفة ولا وسيلة للرزق. غرّس في قلبه أن العلماء ورثة الأنبياء، وأنه إذا سار على دربهم كان وارثًا لخير الدنيا والآخرة.

يا أيها الأب، ذكّره دومًا أن طريق العلم طويل، يحتاج إلى صبر ومجاهدة، فلا تتركه ييأس إذا عجز عن مسألة، أو لم يحفظ بابًا من أول وهلة، بل خفّف عنه، وذكّره أن العبرة بالثبات لا بالسرعة، وبالاستمرار لا بالبداية وحدها.

يا أيها الأب، كن عونًا له على صحبة صالحة، فإن الرفقة في طلب العلم زاد ومعين، وقد قالوا: "العلم لا يُنال إلا بصحبة"، فأعنه على أن يجالس الأخيار، ويبتعد عن قرناء الغفلة والبطالة.

يا أيها الأب، إنك إن غرست في ولدك حب العلم، فقد أعددت له سلاحًا يحميه من الفتن، ودرعًا يقيه من الانحراف، ومنارة تهديه إذا ضلّ السائرون.

يا أيها الأب، لا تُضيّع هذه الفرصة، فإن ولدك أمانة، والعلم هدية، والوقت قصير، وما أسرع ما ينقضي العمر، فاغتنم أيام الصبا، قبل أن تذبل الهمم، وتضعف الأجساد.

فالوصية لك أن تكون لابنك مُرشدًا وداعمًا، ومُحببًا للعلم وميسّرًا له، حتى تراه -بإذن الله- وقد أصبح من طلاب العلم الصادقين، الذين يرفع الله بهم الجهل عن أنفسهم وعن غيرهم، ويجعلهم قناديل هدى ونورًا للناس.

وإليك أيها الأب في قصصًا من حال السلف والخلف في تشجيعهم لأبنائهم فكن مثلهم وسر بسيرهم وقتدي بهديهم تفوز وتنجح:

قصة الوليد عبادة بن الصامت وأخذ ابنه لطلب العلم

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ، وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيَّ.

فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ، إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ؟

قَالَ: أَجَلْ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟

قَالُوا: لَا.

فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي.

فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ.

فَخَرَجَ فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟

قَالَ: أَنَا وَاللهِ أُحَدِّثُكَ، ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ، خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِرًا. قَالَ قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ.

قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ. قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ.

قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ.

فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، (وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ) وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا، (وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ) رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ... الحديث(١)

وصية أنس رضي الله عنه لابنه

عَنْ ثُمَامَةَ قَالَ: كَانَ أَنَسٌ رضي الله عنه يَقُولُ لِبَنِيهِ: «يَا بَنِيَّ قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ»(٢)

وصية الحسن بن علي لابنه

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ

(١) رواه مسلم برقم (٣٠١٤) في «باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر».

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٣١٦)

تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ، وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الصَّمْتِ، وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثًا وَإِنْ طَالَ حَتَّى يُمْسِكَ»(١)

وصية عقبة بن نافع لابنه

وأوصى عُقْبَة بْن نافع بنيه قَالَ: يَا بني لا تقبلوا الْحَدِيْث عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلا من ثقة(٢).

وصية مصعب بن الزبير لابنه

وقال مصعب بن الزبير لابنه: يا بني تعلم العلم فإن كان لك مال كان جمالا وإن لم يكن عندك علم كان لك مالا، بِمَا اسْتُحْفِظُوا استودعوا مِنْ كِتابِ اللهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ إنه كذلك فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ إلى قوله الْكافِرُونَ واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها(٣).

وصية عبد الملك بن مروان لبنيه

كفوا الأذى، وابذلوا المعروف، واعفوا إذا قدرتم، ولا تبخلوا إذا سُئلتم، ولا تُلحفوا إذا سَألتم؛ فإنه مَن ضَيَّق ضُيِّق عليه، ومَن أعطى أخلف الله عليه.

وقال أيضًا لبنيه: يا بَنِيَّ! تعلموا العلم؛ فإن كنتم سَادةً فُقْتُم، وإن كنتم وسطًا سُدْتُم، وإن كنتم سُوقة عِشْتُم.

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٢١)

(٢) «التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة - السفر الثالث - ط الفاروق» (١/ ٣١٤)

(٣) «تفسير الثعلبي- الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (٤/ ٧٠).

وقال أيضًا: يا بَنِيَّ! تعلموا العلم، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مالاً. (١)

وصية عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ لبنيه

كان عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ يجمع بنيه، فيقول:

يا بَنِيَّ! إن أزهد الناس في عالم أهله، فهلموا فاطلبوا العلم؛ فإن تكونوا صغار قوم لا يُحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يُستغنى عنكم.

واسَوْءَتا! ماذا أقبح من شيخ جاهل؟!.

يا بَنِيَّ! لا يُهْدِيَنَّ أحدكم إلى ربه ما يستحي أن يُهديه إلى حريمه؛ فإن الله أكرم الكرماء، وأحق من اختير له.

يا بني! إذا رأيتم خَلَّةً رائعة من شر من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رَجُلَ صدق؛ فإن لها عنده أخوات.

وإذا رأيتم خلة رائعة من خير من رجل فلا تقطعوا إنَاتَكم منه، وإن كان عند الناس رَجُلَ سوءٍ؛ فإن لها عنده أخوات.

يا بني! الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم (٢).

وصية يحيى بن خالد لابنه جعفر

---

(١) «المنتخب من وصايا الآباء للأبناء» (ص٤٥ بترقيم الشاملة آليا).

(٢) «المنتخب من وصايا الآباء للأبناء» (ص٤٦ بترقيم الشاملة آليا).

أوصى يحيى بن خالد ابنه جعفرًا، فقال:

يا بني! خذ من كل علم بحظ؛ فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئًا من العلم عاديته لما جهلت، وعزيز عليَّ أن تعادي شيئًا من العلم.

وقال له أيضًا: لا ترد على أحد جوابًا حتى تفهم كلامه؛ فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك. ولكن افهم عنه، فإذا فهمت فأجبه. ولا تتعجل بالجواب قبل الاستفهام. ولا تستح أن تفهم إذا لم تفهم؛ فإن الجواب قبل الفهم حمق. وإذا جهلت قبل أن تسأل فاسأل؛ فيبدو لك، واستفهامك أحمد بك، وخير لك من السكوت على العِي[1]

محمد بن الحنفية ووصيته لولده

وكتب محمد بن الحنفية إلى ابنه: أن تفقّه في الدين، وعوّد نفسك الصبر على المكروه، وكل نفسك في أمورك كلّها إلى الله عز وجل، فإنك تكلها إلى كهف حريز، ومانع عزيز، وأخلص المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة له.

واعلم أنّ من كان مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان لا يسير، فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك، وإن كنت غير قابل نصيحتي إياك فاعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أملك، ولا تعدو أجلك، فإنك في سبيل من كان قبلك، فأكرم نفسك

(١) «المنتخب من وصايا الآباء للأبناء» (ص٥٣ بترقيم الشاملة آليا).

عن كل دنيّة وإن ســاقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفســك عوضا.

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع وتقول: متى ما أخّرت نزعت، فإن هذا أهلك من هلك قبلك، وأمسك عليك لسانك، فإن تلافيك ما فرط من صمتك، أيســر عليك من إدراك ما فات من منطقك، واحفظ ما في الوعاء بشــدّ الوكاء، فحســن التدبير مع الاقتصــاد أبقى لك من الكثير مع الفســاد والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور، والمرء أحفظ لسره، ولربما سعى فيما يضره، وإياك والاتكال على الأماني، فإنها بضــائع النّوكى، وتثبّط عن الآخرة والأولى، ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح.

فقارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشــر تبن عنهم، ولا يغلبنّ عليك سوء الظن، فإنه لن يدع بينك وبين خليل صلحا.

أذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب، واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصــحبة الأحمق شــؤم، ومن الكرم منع الحرم، ومن حلم ســاد، ومن تفهم ازداد.

امحض أخاك النصــيحة، حســنة كانت أو قبيحة، لا تصــرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك.

واعلم يا بني أنه مالك من دنياك إلا ما أصــلحت به في مثواك، فأنفق من خيرك، ولا تكن خازنا لغيرك، وإن جزعت على ما يفلت من يديك، فاجزع

على ما لم يصل إليك ربما أخطأ البصير قصده، وأبصر الأعمى رشده، ولم يهلك امرؤ اقتصد، ولم يفتقر من زهد.

من ائتمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه، رأس الدين اليقين، وتمام الإخلاص اجتناب المعاصي، وخير المقال ما صدّقه الفعال.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار، واحمل لصديقك عليك، واقبل عذر من اعتذر إليك، وأخرّ الشر ما استطعت، فإنك إذا شئت تعجلته.

لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان.

لا تملّكنّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة، فإنّ ذلك أدوم لحالها، وأرخى لبالها، واغضض بصرها بسترك، واكففها بحجابك، وأكرم الذين بهم تصول، فإذا تطاولت تطول.

أسأل الله أن يلهمك الشكر والرشد: ويقويّك على العمل بكل خير، ويصرف عنك كل محذور برحمته. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[1].

وصية وَهْبِ بن مُنَبِّه لابنه

قال وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ لابنه:

يا بُنَيَّ! عليك بالحكمة فإنَّ الخيرَ في الحكمةِ كُلَّهُ وَتُشَرِّفُ الصَّغِيرَ عَلَى

(١) «العقد الفريد» (٣/ ١٠١).

الْكَبِيرِ وَالْعَبْدَ عَلَى الْحُرِّ وَتَزِيدُ السَّيِّدَ سُؤْدُدًا وَتُجْلِسُ الْفَقِيرَ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ.

وقال له: يا بُنَيَّ! لا تُجَادِلَنَّ العلماءَ فَتَهُوْنَ عليهم فَيَرْفِضُوكَ، ولا تُمَارِيَنَّ السُّفَهَاءَ فَيَجْهَلُوا عَلَيْكَ وَيَشْتُمُوكَ؛ فَإِنَّهُ يَلْحَقُ بِالْعُلَمَاءِ مِنْ صَبَرَ وَرَأَى رَأْيَهُمْ، وَيَنْجُو مِنَ السُّفَهَاءِ مَنْ صَمَتَ وَسَكَتَ عَنْهُمْ.

وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّكَ إِذَا مَارَيْتَ الْفَقِيهَ إِلَّا زِدْتَهُ غَيْظًا دَائِبًا عَلَيْك.

وَلَا تَحْمَيَنَّ مِنْ قَلِيلٍ تَسْمَعُهُ؛ فَيُوقِعَكَ فِي كَثِيرٍ تَكْرَهُهُ.

وَلَا تَفْضَحْ نَفْسَكَ لِتُشْفِيَ غَيْظَكَ.

فَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ جَاهِلٌ فَلْيَنْفَعَنَّ إِيَّاكَ حِلْمُكَ.

وَإِنَّكَ إِذَا لَمْ تُحْسِنْ حَتَّى يُحْسَنَ إِلَيْكَ، فَمَا أَجْرُكَ؟ وَمَا فَضْلُكَ عَلَى غَيْرِكَ؟ فَإِذَا أردتَ الأجْرَ والفضيلةَ فَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَانْفَعْ مَنْ لَمْ يَنْفَعْكَ، فَانْتَظِرْ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ اللهِ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ الْكَامِلَةَ الَّتِي لَا يُرِيدُ صَاحِبُهَا عَلَيْهَا ثَوَابًا فِي الدُّنْيَا(١).

وصية عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي لابنه سفيان

قال الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما بلغت خمس عشرة سنة، قال لي أبي: يا بني! قد انقطعت عنك شرائع الصبا، فاختلط بالخير تكن من أهله، ولا تزايله فتبين منه. ولا يغرنك مَن مدحك بما تعلم أنت خلافه من نفسك؛ فإنه ما مِن أحد يقول في أحد من الخير

(١) «المنتخب من وصايا الآباء للأبناء» (ص٤٧ بترقيم الشاملة آليا).

ما لم يعلم منه إذا رضـي، إلا قال فيه مِن الشـر على قدر ما مدحه إذا سـخط.

واستأنس بالوحدة مِن جلساء السوء، تسلم من غِبِّ عواقبهم.

ولا تنقل أحسن ظني بك إلى أسوإِ ظني بمن هو دونك.

واعلم أنه لن يسـعد بالعلماء إلا مَن أطاعهم، فأطعهم تسـعد، واخدمهم تقتبس من علمهم[1].

وصية سليمان بن طرخان التيمي ابنه المعتمر

عن محمد بن عبد الأعلى قال: سـمعت المعتمر بن سـليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كتب إليَّ أبي وأنا بالكوفة:

يا بني! انظر في المصحف، واكتب العلم؛ فإن المال يفنى، والعلم يبقى[2]

عمرو الفقيمي، التميمي الكوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال ابن أبي شيبة في «مصنف» (١٥/ ٥٥٥) (٣٠٩٠٩):

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَبُو دَاوُدَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو: جَاءَ بِي أَبِي إِلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَأَنَا صَغِيرٌ، فَقَالَ: تُعَلِّمُ هَذَا الْقُرْآنَ؟!.

وصية ابن الجوزي لابنه في طلب العلم

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) «المنتخب من وصايا الآباء للأبناء» (ص٤٩ بترقيم الشاملة آليا)

(٢) «المنتخب من وصايا الآباء للأبناء» (ص٦٥ بترقيم الشاملة آليا).

الحمد لله الذي أنشـأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضّد العشائرَ بالقرابة والأنساب

وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب، أحسنَ التربيةَ في الصغر وحفِظ في الشباب، ورزقنا ذريةً نرجو بهم وفورَ الثواب ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [سورة إبراهيم:٤٠-٤١].

أما بعد

فإني لما عرفتُ شرفَ النكاح وفضلَ الأولاد، ختمتُ ختمةً وسألتُ الله عز وجل أن يرزقني عشـرة أولاد، فرزقني إياهم فكانوا خمسـةً ذكورًا وخمسـةً إناثًا، فمات من الإناث اثنتان ومن الذكور أربعة، ولم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم، فسألتُ اللهَ تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المنى والمناجح.

ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجِد في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفّق ولا مرشدَ لمن أضلّ، لكنْ قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر:٣]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [سورة الأعلى:٩].

اعلم يا بني وفَّقَكَ اللهُ للصـوابِ أنه لم يميَّزِ الآدميُ بالعقلِ إلا ليعملَ بمقتضاهُ، فاستحضر عقلكَ، وأَعمِلْ فِكرَك، واخلُ بنفسك.

تَعلمْ بالدليل أنك مخلوقٌ مُكَّلفٌ، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن المَلَكْين يحصـيان ألفاظك ونظراتك، وأنَّ أنفاسَ الحي خطاه إلى أجله، ومقدارَ اللُّبث في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟! رحلَتْ وأبقَت ندمًا، وأين شـهوة النفس؟ نكّسَت رأسًا وأزلّت قدمًا، وما سعِد مَن سعِد إلا بخلاف هواه، ولا شقِي مَن شقي إلا بإيثار دنياه.

فاعتبر بمن مضـى من الملوكِ والزهادِ، أين لذة هؤلاء وأين تعب أولئك؟ بقيَّ الثوابُ الجزيل والذكرُ الجميلُ للصـالحين، (والمقالةُ القبيحة) والعقابُ الوبيلُ للعاصين، وكأنه ما جاعَ مَنْ جَاعَ ولا شَبعَ مَنْ شَبعَ.

والكَسَلُ عن الفضـائلِ بئسَ الرفيق، وحبُ الراحة يورث مِن الندم ما يربو على كل لذة، فانتبه واتعبْ لنفسك. واعلم أن أداء الفرائض واجتنابَ المحارم لازم، فمتى تعدّى الإنسـانُ فالنار النار! ثم اعلم أن طلبَ الفضـائل نهايةُ مُرادِ المجتهدين، ثم الفضـائلُ تتفاوت، فمن الناس مَن يرى الفضـائلَ الزُهْدَ في الدنيا، ومنهم مَن يراها التشاغلَ بالتعبد.

وعلى الحقيقة فليست الفضائلُ الكاملةُ إلا الجمعُ بين العِلْمِ والعَمَلِ، فإذا حصلا رفعا صاحبهما إلى تحقيقِ معرفةَ الخالق.

فاعْلم أن النفسَ قد أخذت حَظّهَا فَقُم إلى الوضـوءِ، وصـل في ظلامِ الليلِ ما أمكن، واسـتفتح بركعتينِ خَفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزأين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلمِ فإن العلم أفضل من كل نافلة.

وليكن جُلسَاؤك الكُتُب، والنظر في سِيَرِ السلفِ، ولا تَشتَغِل بعلمٍ حتى تُحكِم ما قَبْلَه، وتَلَمَّحْ سِيَرَ الكاملين في العلمِ والعملِ، ولا تقنع بالدونِ، فقد قَالَ الشاعر:

ولم أرَ في عيوب الناسِ شيئًا   كَنَقصِ القَادرين على التَمام

وينبغي أن تَسمو همتك إلى الكمالِ، فإن خلْقًا وقفوا مع الزهد، وخَلْقًا تشاغلوا بالعلم، وندر أقوامٌ جمعوا بين العلمِ الكاملِ والعملِ الكاملِ.

واعلم أني قد تصفحتُ التابعين ومَن بعدَهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربعة أنفس:

١- سَعِيْدُ بنُ المُسَيِّب
٢- والحَسَنُ البَصْرِيُّ
٣- وسُفْيَانُ الثَّوري
٤- وأَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ

رضي الله عنهم؛ وقد كانوا رجالًا وإنما كانت لهم هممٌ ضعُفَت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثيرٌ لهم هممٌ عاليةٌ، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتابِ (صِفَة الصَفْوَة)، وإن شئتَ أخبارَ سَعيد والحَسَن وسُفيَان وأَحْمَد رضي الله عنهما، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهما (منهم) كتابًا.

وإياكَ أن تقفَ مع صورةِ العلمِ دون العمل به، فإن الداخلين على الأمراءِ والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العملِ بالعلمِ؛ فمُنِعُوا البَرَكَةَ والنفعَ به.

وعلى قدرِ انتفاعك بالعلمِ يَنتفعُ السَامعون، ومتى لم يَعْمَلِ الواعظُ بعلمِه زلَّتْ موعظتُه عن القلوب كما يَزِلُّ الماءُ عن الحَجَرِ فلا تَعِظَنَّ إلا بنية، ولا تمشينَّ إلا بنية، ولا تأكلنَّ لقمة إلا بنية، ومع مطالعة أخلاقَ السلفِ ينكشفُ لك الأمر.

وصية أبي الحسن الدَّامَغَانيُّ لابنه

ولا يؤيسك من الخير ما مضى من التفريطِ، فإنه قد انتبه خلقٌ كثيرٌ بعد الرقاد الطويل، فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة أبي الحسن الدَّامَغَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كنتُ في صبوتي متشاغلًا بالبطالة -غيرَ ملتفتٍ إلى العلم-، فأحضرني أَبي أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وقال لي: يا بني إني لست أبقى لك أبدًا، فخذ عشرين دينارًا وافتح دكانَ خَبَّازٍ وتكسَّبْ! فقلتُ: ما هذا الكلام؟! قَالَ: فافتح دكان بزّاز! فقلت: تقول ليَّ هذا وأنا ابن قاضي القضاة عَبْدِ اللهِ الدَّامَغَانِيُّ؟ قَالَ: فما أراك تُحب العلم! فقلت: اذكر لي الدرسَ الساعة، فذكرَ لي، فأقبلتُ على التشاغلِ بالعلمِ واجتهدتُ ففتحَ اللهُ تعالى

وحَكَى لي بعضُ أصحابِ أبي محمد الحلواني رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَاتَ أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، وكنتُ مَوصوفًا بالبطالةِ، فَأَتيتُ أتقاضى بعضَ سُكَّانِ دارٍ قَد وَرثتُها، فَسَمِعتهم يَقولون: قد جَاءَ المُدبر؛ أي الرّبيط، فقلتُ لنفسي: يُقال عنّي هذا! فَجئتُ إلى وَالِدَتي، فَقلتُ: إذا أَردتِ طَلبي فَاطلبيني من مَسجدِ الشيخ أبي الخَطَّابِ، ولازَمتهُ فما خَرَجتُ إلّا إلى القَضَاءِ، فَصرتُ

قَاضيًا مُدةً. (قلت) ورَأيته أنا وهو يُفتي ويُنَاظِر[(١)].

إبراهيم بن أدهم

عن النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، يَقُولُ: قَالَ لِي أَبِي: «يَا بُنَيَّ، اطْلُبِ الْحَدِيثَ، فَكُلَّمَا سَمِعْتَ حَدِيثًا، وَحَفِظْتَهُ، فَلَكَ دِرْهَمٌ فَطَلَبْتُ الْحَدِيثَ عَلَى هَذَا»[(٢)]

وصية أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري رَحِمَهُ اللَّهُ لابنه

قال رَحِمَهُ اللَّهُ

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ... إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ لَوْ عَقَلْتَا
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ... مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
وَيَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِنْ غِشَاهَا ... وَيَهْدِيكَ الطَّرِيقَ إِذَا ضَلَلْتَا
وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا عَرِيتَا ... وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا
يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًا ... وَيَبْقَى ذِكْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنَّدُ لَيْسَ يَنْبُو ... تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبتا
وَكَنْزٌ لاَ تَخَافُ عَلَيْهِ لِصًّا ... خَفِيفَ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا

---

(١) هذه الأسطر من كتاب لفتة الكبد إلى نصيحة الولد لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تحت «فصل في نقض اليأس والقنوط والإقبال على الجد والعمل».

(٢) «شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي» (ص٦٦)

يَـزِيـدُ بِـكَـثْـرَةِ الإِنْـفَـاقِ مِـنْـهُ ... وَيَـنْـقُـصُ إِنْ بِـهِ كَـفًّـا شَـــدَدْتَـا
فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلْوَاهُ طَعْمـًا ... لآثَـرْتَ الـتَّـعَـلُّـمَ وَاجْـتَـهَـدْتَـا
وَلَمْ يَشْـــغَلْكَ عَنْهُ هَوىً مُطَاعٌ ... وَلاَ دُنْـيَـا بِـزُخْـرُفِـهَـا فُـتِـنْـتَـا
وَلاَ أَلْـهَـاكَ عَـنْـهُ أَنِـيـقُ رَوْضٍ ... ولا خِـدرٌ بِـرَبْـرَبِـه كَـلِـفْـتـا
فَـقُـوتُ الـرُّوحِ أَرْوَاحُ الْـمَـعَـانِي ... وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْـتَ وَلاَ شَــرِبْتَا
فَـوَاظِـبْـهُ وَخُـذْ بِـالْـجِـدِّ فِـيـهِ ... فَـإِنْ أَعْـطَـاكَـهُ اللهُ انـتَـفَـعْـتَـا

وصية ابن الوردي لابنه

قال رَحِمَهُ اللَّهُ

يـا بني اســمع وصــايا جمعت ... حكمـًا خصــت بها خير الملل
أطلـب العلـم ولا تكسـل فما ... أبعـد الخير على أهـل الكسـل
واحـتفـل لـلفـقـه في الـديـن ولا ... تشــتـغـل عـنـه بـمـال وخـول
واهـجـر الـنـوم وحـصــلـه فـمـن ... يعرف المطلوب يحقر ما بـذل
لا تـقـل قـد ذهـبـت أربـابـه ... كل من ســار على الدرب وصـل
في ازديـاد الـعـلـم إرغـام الـعدى ... وجـمـال العلم إصــلاح العمل

سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:(١)

(١) هذه القصــة وما يليها إلى آخر الفصــل منقول من رســالة «اهتمام أهل العلم من

سُئل سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: هل اخترت لأبنائك طريق الدراسة أم تركت لهم الحرية في اختيار ما يشاؤون في تحصيل العلم؟

فأجاب: نشير عليهم بما نرى، وقد تُقبل الإشارة، وقد يختار الفرد منهم شيئًا آخر، نشير عليهم بكلية الشريعة دائمًا، وبعضهم قد يختار كلية أخرى.

يقول تلميذه الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان: أخبرني ابنه أحمد أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يتصل بالهاتف الداخلي في البيت على أولاده، يوقظهم لصلاة الفجر، وكان إذا أيقظهم يُلقنهم: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)؛ لأن النوم يُغالبهم، فيأمرهم بإعادة الجملة النبوية؛ حتى يتأكد أنهم تيقظوا.

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم الموسى: كما أن سماحة الشيخ إمام في زهده، وورعه، وعلمه، وكرمه، وأخلاقه، وأحلامه، وشجاعته، ونُصحه، فهو كذلك إمام في تعامله مع أبنائه، فهو رَحِمَهُ اللَّهُ يعاملهم معاملة الوالد الرحيم، والمربي الشفيق الكبير؛ حيث كان يحنو عليهم، ويحترمهم، ويقدرهم، ويدعو كثيرًا لهم، ويعدل فيما بينهم، ويستجيب لدعوتهم.

ومِن عدله بين أولاده وزوجاته أنه جعل لكل من أولاده وزوجاته حسابًا خاصًّا، فمن احتاج منهم مبلغًا خلاف المصاريف واللوازم الضرورية، وما يحتاجه البيت، قيَّد ذلك في حساب المحتاج على سبيل القرض، وكذا لو أن أحدًا من أولاده احتاج إلى سيارة، أو غيرها، دفَع المبلغ، وقيَّد ذلك في حسابه

المعاصرين بتربية أبنائهم» للشيخ فهد بن عبد العزيز عبدالله الشويرخ.

الخاص.

ومما يدل على عنايته بهم أنه يخصهم بوقت يسمع منهم ويسمعون منه، ويسألونه عما أشكَل عليهم، وقد خصَّص لأبنائه وبناته وزوجتيه وقتًا معينًا كذلك.

سماحة الشيخ عبد الله بن عبدالعزيز العقيل رحمه الله (ت ١٤٣٢هـ):

قال رحمه الله: وأما الكلام على أولادي وذريتي، فأقولُ متحدثًا بنعمة الله: أحمَده تعالى أن وهب لي ذرية صالحة، وأسأله تعالى أن يُديم عليهم الصلاح والاستقامة، وجملتهم خمسة وثلاثون ما بين ذكر وأنثى، والموجودون الآن ثلاثة عشر ابنًا وإحدى عشرة بنتًا، من أربع زوجات، وكانت سياستنا مع الأولاد أصلحهم الله حال صغرهم ما يلي:

وضعنا لهم جدولًا لأداء الصلوات في المسجد مع الجماعة؛ لنعرف من صلى فيكتب، ويُعطى مكافأة ويُشجَّع، ومن تخلَّف من غير عذر يُحاسب ويُحرم المكافأة.

١- علمناهم الأذان، فكل واحد يؤذن يومًا لِيُشجعوا على مثل هذا.

٢- عوَّدناهم على الخطابة، بحيث يقوم أحدهم ويخطب ويتكلم بما يريد.

٣- علمناهم مبادئ الخط والإملاء والحساب وغير ذلك.

٤- تكليفهم ببعض الأعمال التي يطيقونها؛ كل بحسب حاله، تمرينًا لهم عليها.

٥- إذا احتاج أحدهم إلى شـــيء فإنه يكتب لي خطابًا يطلب فيه حاجته، حتى يتعلَّمُوا الإنشاء وحسن التعبير.

٦- إعطاؤهم مكافآت، وتشجيعهم كلٌّ بحسب ما يقوم به.

كتبتِ ابنتُه الأستاذة بدرية عن والدها رَحِمَهُ اللَّهُ، فقالت:

كان الشيخ مثلًا يُحتذى به وسيرة تُقتدى، كان حازمًا في رفق، جادًّا في لين، يحمل طيب الصــفات وجميل الخصـــال، كان لطيفًا محبوبًا، يرعى أهل بيته، ويتعاهدهم في كل شــؤونه، لا يترك صــغيرة ولا كبيرة إلا وله فيها توجيه أو نصــحٌ، أو رأي ســديد، وكان حازمًا معهم في كل ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، يحثُّهم على تعلُّم كل ما هو مفيد، وكان شــديد الحرص عليهم، خاصة في أمور العبادات، فقد كان يوقظهم للصلاة، ويحثهم على التبكير إليها والحرص على سننها وواجباتها، ويتفقد من غاب عنها، وكان شديد الاهتمام بالقرآن الكريم وتلاوته وحفظه وإتقانه، فقد كان يضع درسًا يوميًّا بعد صلاة العصــر لتدارُس كتاب الله وتلاوته، وكان يتعاهد ما حفِظوه، كان شـــديد المحافظة على الأذكار والسنن والآداب، وكان ينصح أبناءه بالمحافظة عليها، وكان كريمًا مِعْطاءً، كثيرَ الهبات، فيتعاهد أبناءه وأقاربه بالعطايا والهبات، كان حريصًا على تعليم أبنائه طيب الخصال وحسن الأخلاق، فيحثهم على الحلم والعفو، والتأني وعدم العجلة، والصــبر والإخلاص والاحتســاب، ومقابلة السيئة بالحسنة، وقول الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وصية الشيخ سليمان بن صالح الخزيم رَحِمَهُ اللَّهُ لابنه.

كتب رَحِمَهُ اللَّهُ وصيةً لابنه صالح بمناسبة تعيينه معلمًا، قال فيها:

أُوصيك ونفسي بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلانية، وأن تجعل الاستعانة به نُصب عينيك، فإنه نعم المعين، وأن تحرِص غاية الحرص على الجد والاجتهاد في أوقات الفرص من الازدياد من طلب العلم النافع، وسؤال الله تعالى إياه، وأن تتعاهد ما حفِظته من القرآن، وأن تحرِص على حفظ ما لم تحفَظ منه، ومن غيره مِن متون العلم النافعة، وإياك أن تشتغل عن الازدياد من العلم بشيء ما، ونسأل الله لنا ولك التوفيق، وألا يَكِلَنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه جواد كريم.

سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد (ت ١٤٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول ابنه الشيخ صالح:

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ استطاع بتوفيق الله له أن يجمع بين الهيبة والوقار، وخصائص طالب العلم، والأب المربي الحاني الرفيق الشفيق، فإن شئته مهيبًا وقورًا محافظًا على الانضباط في البيت، فترى من ذلك العجب، وإن شئته أبًا حانيًا قد انطلق مع أولاده وأهله في أحاديث أسرية ومداعبات مع الصغار؛ بحيث يلتفون حوله ويرغبون في مجلسه، ويأنسون بأحاديثه، فإنك واجدٌ في ذلك شيئًا كثيرًا.

وأكثر ما تكون جلسات الشيخ مع أولاده في مواعيد الطعام، وله جلسة بعد العشاء يتحلَّق حوله الأهل والأولاد، يتم فيها مجاذبة أطراف الحديث على

نحو ما يجري لدى الناس في بيوتهم، غير أن جلسات الشيخ تتميز في كثير منها بحرص الشيخ فيها على التوجيه والتربية، وبيان بعض الأمور والأحوال لأبنائه وبناته؛ مما ينبغي أن يتمسكوا به من أهداب الدين، وكريم الأخلاق، وما ينبغي أن يَجتنبوه من سيئ الأفعال، وذميم الأخلاق، والبعد عن قرناء السوء.

كما أن الشيخ يُجمِّل مجلسه الأسري بشيء من الأدب، والحكايات التاريخية، والقصص ذات المغزى، والمقطعات الشعرية.

والشيخ ذو حرص ومتابعة وعناية فائقة في كل ما يجري حوله من شؤون البيت والأهل والأولاد، غير أن له عناية خاصة بأربعة أمور:

أولها: المحافظة على الصلاة جماعةً في المسجد، فإن الشيخ في ذلك يقف من أبنائه موقفًا صارمًا لا يقبل فيه التساهل أبدًا، ويغضب غضبًا شديدًا، ويؤدب أدبًا رادعًا لو حصل تقصيرٌ أو تساهل، أجزَل الله له المثوبة وتغمَّده بواسع رحمته.

الثاني: التعليم: فالشيخ كما سبق يحب العلم، ويحرص عليه ويُقدِّره، ومن ثمَّ فقد كان حريصًا جدًّا على أولاده؛ ليحصوا من العلم قدر طاقتهم، ويبذلوا فيه غاية وسعهم، فكان يتابعهم متابعة عجيبة، ولا يرضى أن يتخلف أحدٌ عن المدرسة، ولا يتهاون في ذلك أو يتساهل، كما كان متابعًا لهم في مسؤولياتهم المدرسية وواجباتهم المنزلية بشكل عجيب، مع ما أعطاه الله من هيبة في ذلك.

الثالث: القرناء والأصدقاء، لقد كان الشيخ حريصًا على معرفة قُرناء أبنائه وجلسائهم، وأصدقائهم ومَن يرافقهم، وله في المتابعة والمساءلة طريقة خاصة بالأسلوب المباشر وغير المباشر.

الرابع: توجيه أبنائه لحسن استقبال الضيوف والأدب معهم، واحترامهم وتوقيرهم، والعناية بهم، واللباقة في التحدث إليهم، وله في ذلك حُسن توجيه ومتابعة.

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الفريان (ت١٤٢٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول ابنه الشيخ عبدالله: كان رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له دائمًا يسألنا بين الحين والحين: كم نحفظ من القرآن؟... أبناؤه وأحفاده كان - رَحِمَهُ اللَّهُ - يشجعهم على الالتحاق بمدارس تحفيظ القرآن، أو حلقات التحفيظ في المساجد، ويمسك بأيديهم ويذهب بهم إلى حلقات التحفيظ في المساجد؛ ليروا أسنانهم وما أنجزوا من حفظ، وما حصَّلوا من جوائز، فيصبح في أنفسهم شيءٌ من التنافس، ويزيد على هذا أن يضع لهم الحوافز والجوائز منه شخصيًّا، ويُذكِّرهم بالأجر العظيم لحافظ كتاب الله ومنزلته العظيمة يوم القيامة، والشفاعة التي يختصُّ بها دون المسلمين.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يحثُّ أبناءه دائمًا على مواصلة طلب العلم، ويدلُّهم على فضل التعلُّم، وأيضًا كان يحثُّ أبناءه الذين أكملوا الجامعة على الالتحاق بوظيفة معلم، ويقول: إن في التحاقِكَ بالتعليم مراجعة لما تعلَّمته، فلا تنساه وتتعلَّم أكثر، كان من عادته رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه فسيح جنَّاته أن يتصل هاتفيًّا على كل بيت تحت ولايته؛ لإيقاظ أهله لصلاة الفجر، ويأمرنا بالاهتمام بصلاة آخر الليل، ويحرص على صلاة الجماعة.

علماء دفعتهم أمهاتهم إلى طلب العلم

يا أيَّتها الأم المباركة، يا مَن جعل الله في قلبها رحمة، وفي يديها تربية، وفي كلماتها توجيهًا لا ينسى، إنك لستِ أقل أثرًا من الأب، بل ربما كنتِ أعمق أثرًا وأقوى بصمةً في طريق ولدك.

فكم من عالمٍ جليل كان وراءه أمٌّ دفعت به إلى حلقات القرآن، وأخذت بيده إلى مجالس العلماء، وربّته على الجدِّ والهمة، حتى غدا عَلَمًا تهتدي به الأمة. وكم من فقيهٍ ومحدِّث لم يكن ليبلغ ما بلغ، لولا دمعةُ أمٍّ داعية في جوف الليل، أو كلمةُ حزمٍ صدرت منها ساعة التردد، أو نفَسُ صبرٍ لازمها في رعاية صغيرها حتى صار كبيرًا بين العلماء.

يا أيتها الأم، إنك بصبرك على ولدك، وحثك إياه على طلب العلم، إنما تبنين له مجدًا لا يزول، وتخلِّدين لنفسك ذكرًا لا يندثر. فأنتِ شريكة في أجره، وحليفة في دعوته، ووارثة معه لفضل ما تعلّم وعلّم.

ولهذا كان تاريخ الأمة شاهدًا على أمهات عظيمات، صنعن بأيديهنّ رجالًا ملأوا الدنيا علمًا ونورًا، ورفع الله بهم الجهل عن الناس. فهذا الباب يسلّط الضوء على تلك النماذج المضيئة، ليبقى أثرهنَّ حيًّا في القلوب، ودرسًا خالدًا للأمهات والمربيات.

لقد ملأَ أئمتنا الأعلام الدنيا علماً، وكانوا قادة يهدى بهم ويقتدى، وعندما نتبع أخبارهم وبداياتهم، نجد غالبًا أمًا صالحة تقف وراء نجاحهم، تروي لنا القصص «قلت لأمي وقالت لي أمي»، أو «استأذنت أمي»، أو «نشأت يتيمًا في حجر أمي»، أو «باعت أمي دارها»... وغيرها من المواقف التي سطرها التاريخ عن أمهات خُلِّد ذكرهن.

منهم اليتيم، ومنهم الفقير، ومنهم الرضيع والصغير، ولكن بسبب تربية ورعاية هؤلاء الأمهات الصالحات المباركات، اللواتي بذلن قصارى جهدهن، بارك الله في صبرهن وتضحياتهن، وجعل في نسلهم بركة وعلمًا ونورًا. فالله سبحانه لا يضيّع أجر من أحسن عملًا، ولا يخيب ظن من صدق معه، وجعل من ثمرة تلك التربية رجالًا رفعوا راية الإسلام، وحملوا مشاعل العلم، فكانوا زينة للدنيا، ونورًا للأمة، وذخرًا للأمهات اللواتي قدمنهم.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ قَالَ: فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨) ومسلم (٢٣٠٩)

وفي رواية لأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَخَذَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ بِيَدِي مَقْدَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَتَتْ بِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا ابْنِي وَهُوَ غُلَامٌ كَاتِبٌ، قَالَ: فَخَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ قَطُّ

أم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري

الإمام البخاري، صاحب «الجامع الصحيح» الذي يُعدُّ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، نشأ يتيمًا.

يقول الحافظ ابن حجر في ترجمته:

ومات إسماعيل ومحمد صغير، فنشأ في حجر أمه، ثم حج مع أمه وأخيه أحمد، وكان أسن منه، فأقام هو بمكة مجاورًا يطلب العلم، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى فمات بها(١).

لقد تعرض هذا الولد لمصيبة عظيمة في صغره وهي ذهاب عينه، فَلَجَأت الأم الصالحة إلى الله سبحانه باكية داعية حتى رد الله عليه بصره. وقد ذكر خبرها وقصتها في كرامات الأولياء، فمن خلف بن محمد بن الفضل البلخي، قال: "سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه قد رد الله على

صَنَعْتُهُ: أَسَأْتَ، أَوْ بِئْسَ مَا صَنَعْتَ.

وفي الحديث ما يوهم التعارض في ذهاب أنس هل أخذه أبو طلحة أو أم سليم، وقد جمع بينهما ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٤٦٤) فقال: وَأَبُو طَلْحَةَ كَانَ زَوْجَ أُمِّ سُلَيْم وَالِدَةِ أَنَس فَالْحَدِيثُ مُطَابِقٌ لِأَحَدِ رُكْنَي التَّرْجَمَةِ، وَأَمَّا الرُّكْنُ الَّذِي قَبْلَهُ وَهُوَ نَظَرُ الْأُمِّ فَكَأَنَّهُ اسْتُفِيدَ مِنْ كَوْنِ أَبِي طَلْحَةَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ رِضَا أُمِّ سُلَيْم، أَوْ أَشَارَ إِلَى مَا وَرَدَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ " أَنَّ أُمَّ سُلَيْم هِيَ الَّتِي أَحْضَرَتْهُ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ " وَأَمَّا أَبُو طَلْحَةَ فَأَحْضَرَهُ إِلَيْهِ لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى غَزْوَةِ خَيْبَرَ.

(١) «هدى الساري» (ص: ٦٥٤).

ابنك بصـــره لكثرة بكائك أو كثرة دعائك – الشـــك من أبي محمد البلخي – فأصبحت وقد رد الله عليه بصره[(١)].

أم الإمام مالك بن أنس:

الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، أشـــهر من نار على علم، فمن هي أمه؟ وكيف كانت بداياته؟.

هي العالية بنت شـــريك بن عبد الرحمن بن شـــريك الأردنية، أو طليحية مولاة عبد الله بن معمر، حسب الروايات[(٢)].

اعتنت أم الإمام مالك بولدها الصـــغير عناية فائقة، وأرشـــدته إلى طلب العلم عند العلماء، وخصـــصـــت له من يأخذ الأدب والعلم على يديه، وحثته على تعلم الأدب قبل العلم، وغرســـت في قلبه هيبة العلم والعلماء، فربته على إصلاح الباطن والظاهر.

يقول مالك: «قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال فالبس ثياب العلم».

فلبستني ثياباً مشـمرة ووضـعت الطويلة على رأسـي وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

(١) «كرامات الأولياء» للالكائي (ص: ٢٩٠).
وأما قصة ذهاب بصره، فقد وقع فيها خلاف بين أهل العلم، وإيرادي لها إنما هو من باب الاستئناس والإشارة، لا من باب الاحتجاج والاعتماد.
(٢) «ترتيب المدارك» (١/ ١١٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: كانت أمي تعممني وتقول لي: «اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»(١).

لقد ظل أثر أم هذا الإمام ممتداً إلى وفاته، فكان أنموذجـاً فريداً في أدبه ولبسه.

وظلت وصاياها في ذاكرته، يرويها لطلابه وأهل مجلسه، ومن ذلك حرصه على طلب العلم واستمراره عليه، وأدبه ولبسه الذي كان مضرب الأمثال.

قال ابن القاسـم: «أفضـى بذلك طلب العلم إلى أن نقض سـقف بيته فباع خشبه»(٢).

كما كان الإمام مالك مثالاً في هيبته وسمته.

قال الوليد بن مسـلم: «كان مالك لا يلبس الخز ولا يرى لباسـه، ويلبس البياض، ورأيتُه والأوزاعي يلبسان السيجان ولا يريان بلبسها بأسـاً(٣)

ووصـفه بشـر بن الحارث قائلاً: «دخلت على مالك فرأيت عليه طيلسـانـاً يساوي خمساً قد وقع جناحاه على عينيه أشبه شيء بالملوك».

وعن الزهراوي: «كان مالك إذا أصـبح لبس ثيابه وتعمم ولا يراه أحد من أهله ولا أصدقائه إلا متعمماً لابسًا ثيابه، وما رآه أحد قط أكل أو شرب حيث يراه الناس، ولا يضحك ولا يتكلم فيما لا يعنيه»(٤).

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ١٣٠).

(٢) «ترتيب المدارك» (١/ ١٣٠).

(٣) «ترتيب المدارك» (١/ ١٢٢).

(٤) «ترتيب المدارك» (١/ ١٢٣).

وكان يلبس الثياب الجيدة ويتطيب بأجود الطيب، ويقول: «ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمتـه عليه، وخاصة أهل العلم، وكان يقول: أحب للقارئ أن يكون أبيض الثياب»(١).

وكل ما رأيت من أوصـاف هذه الإمام النحرير من هديه وسـمت وأخلاقه وحسـن ثيابه كان السـبب فيه بعد الله هي أمه التي أخذته إلى العلماء الربانيين السلفيين أمثال ربيعة وغيره من أكابر العلماء فصار أحد الأئمة الكبار بل صار له مذهب يأخذ العلماء منه وما ذاك إلا بحسن التربية.

أم الإمام الشافعي:

من لا يعرف الإمام الشافعي؟ هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الذي ملأ ذكره الدنيا، وصنفت فيه المصنفات والأجزاء، وما زال حيًا بذكره ومناقبه وفقهه وعلمه إلى يومنا هذا.

عنه قال إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل: «كان الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فأنظر هل لهذين من عوض أو خلف؟»(٢).

ولكن من هي أمه؟ وهل كان لها أثر عليه؟ اسـمها فاطمة بنت عبد الله الأزدية، وأصلها من اليمن على أصح القولين في نسبها، ويكفيها فخراً وشرفًا أنها أم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

كانت أم الشافعي قانتة عابدة ذكية بشهادة العلماء.

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ١٢٢).

(٢) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (٧٤-٧٥) لابن عبد البر.

قال السـبكي: «وكانت أمه رضـي الله عنها باتفاق النقلة من العابدات القانتات ومن أذكى الخلق فطرة»[1].

ومن لطائف ذكائها ما حكاه الشافعي عن أمه أنه شهدت عند قاضي مكة هي وإمرة أخرى، فأراد أن يفرق بينهما امتحانًا، فقالت له أم الشافعي: «ليس لك ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]»[2].

وعلق السـبكي على فطنتها وفقهها قائلًا: «قلت وهذا فرع حسـن ومعنى قوي واستنباط جيد ومنزع غريب... ولا بأس به»[3].

توفي والد الإمام الشافعي بغزة وعمره لم يتجاوز العامين.

لقد فجعـت هذه الأم بموت زوجها، وتيتم طفلها، وكانت بأرض بعيدة عن بلدها وبلد زوجها، فارتحلت بولدها من غزة وسـكنت بالقرب من أهلها، ثم لما كبر قليلًا ارتحلت به إلى مكة، مهبط الوحي ومنبع الرسـالة، وموضـع العلم والعلماء، وموطن والده حيث أصله ونسبه.

كانت أرملة ذات طفل صغير، فقيرة معدمة لا يملكون من الدنيا شيئًا، ومع ذلك ارتحـلت به ووجهته للعلم لا غير، حفظ القرآن وهو ابن سـبع سـنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشـر، وقيل له: «قد آن أن تفتي» وعمره آنذاك خمس

(١) «طبقات الشافعية» (١٩٧/ ٢).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (٥/ ٢٦٦).

(٣) «طبقات الشافعية» للسبكي (١/ ٨٠).



عشرة سنة، وظلت معه تساند وتوجه وتحضه على طلب العلم حق رهنت دارها.

أرايتم أما ترهن بيتها لطلب ولدها العلم؟!

يقول محمد بن إدريس الشافعي: «كنت في حجر أمي، وأنا غلام، فدفعتني أمي إلى الكُتَّاب، ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام.

فلما ختمتُ القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، وكان منزلنا في شعب الخيف: فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأخذه فاكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديمة.

قال: ثم قدم والٍ علي اليمن، فكلّمه بعض القرشيين أن أصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أَتحمل به، فرهنت دارًا بستة عشر دينارًا، وأعطتني، فتحملت بها معه...».

أم الإمام أحمد بن حنبل:

الإمام أحمد بن حنبل، يكفيه أن يقال عنه: «إمام أهل السنة والجماعة»، الذي ألفت في مناقبه وسيرته المؤلفات.

فهو الإمام الفقيه المحدث الزاهد الورع، صاحب «المسند» الذي ضم قرابة أربعين مجلدًا.

قال عنه الإمام الشافعي: «خرجت من بغداد فما خلفت بما بها رجلًا

أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل»[(١)].

وليس الحديث عنه وحده، إنما الحديث عن أمه التي أخرجته بفضل الله إلى هذه الدنيا وربته يتيمًا ووجهته إلى العلم والعلماء وتفرغت لتربيته ورعايته، وكانت رفيقته وأنيسته.

هي صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني من بني عامر[(٢)].

كانت أسرته تعيش في خراسان، وقدموا إلى بغداد قبل ولادته.

قال ابنه عبد الله: «سمعت أبي يقول: قدمت بي أمي حاملًا من خراسان، وولدت سنة أربع وستين ومائة.

ونشأ يتيمًا في كنف أمه، قال أبو بكر المروذي: «أن أبا عبد الله قال له: قدم بي من خراسان وأنا حمل، وولدت ها هنا، ولم أر جدي ولا أبي»[(٣)]

وقال ابنه صالح: «وتوفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة فولته أمه»[(٤)].

لقد أحسنت أمه - رحمها الله - ولايتها له، فمع كونه يتيمًا، وجهته لطلب العلم وأدبته وأحسنت أدبه، حتى كان محل عجب في طفولته من حسن سمته وأدبه.

قال المروذي: قال لي أبو سراج بن خزيمة: «كنا مع أبي عبد الله في

(١) «سير أعلام البلاغة» (ص ٢٠٣).
(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢١).
(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص: ١٤-١٥).
(٤) «سيرة الإمام أحمد بن حنبل لابنه صالح» (ص ٢٩-٣٠).

الكُتَّاب، فكان النســاء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهن».

قال أبو ســراج: فقال أبي - وذكره - فجعل يعجب من أدبه، وحســن طريقته.

فقال لنا ذات يوم: أنا أنفق على ولدي وأجئهم بالؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظر كيف يخرج!! وجعل يعجب»(١).

لقد أحاطت أم هذا الإمام ولدها بالعناية والحرص الشــديد، فكانت تنفق عليه من غلة تركها له والده، وكان عندها حبة لؤلؤ حافظت عليهما لكبره.

قال أبو الفضـل: «قال أبي: وكان قد ثقبت أذني أمي رحمة الله عليها تصـير فيها حبة لؤلؤ، فلما ترعرت نزعتها فكانت عندها، فدفعتها إليَّ فبعتها بنحو ثلاثين درهمًا».

وكانت قريبة منه، تعلم مدخله ومخرجه، وترعاه في صغره وكبره.

فيقول - رَحِمَهُ اللهُ -: «كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي بثيابي وتقول: حتى يؤذن الناس، أو حتى يصبحوا»(٢).

كان الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ - بارًا بأمه لا ينسى فضلها عليه، وكان يستأذنها وهو رجل في ذهابه وإيابه، ويفكر فيها وفيما يدور في بالها.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٣).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣١).

ومن تلك المواقف التي سطر التاريخ ذكرها في مناقبه: قوله: «وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأس لبنة فحممت فرجعت إلى أمي رحمها الله ولم أكن أستأذنتها[(١)]

وموقف آخر يجعل الإمام يتراجع عن رحلته مع حرصه على ذلك، وهو امتناعه عن عبور المد مراعاة لأمه.

قال إبراهيم ابن هاشم: لما قدم جرير بن عبد الحميد- يعني ببغداد- نزل على بني المُسّيب، فلما عبر إلى الجانب الشرقي جاء المد، فقلت لأحمد بن حنبل: تعبُر؟ فقال: أمي لا تدعني، فعبرت أنا فلزمته.

قال ابن الجوزي: «وهذا المد كان في سنة ست وثمانين ومائة في أيام الرشيد، زادت دجلة زيادة بينة لم يُرى قبلها مثلها». أي أن عمر الإمام أحمد حينها كان يزيد على عشرين سنة.

لقد برز في العصور المتأخرة علماء وفقهاء وأئمة مجددون، ولكل منهم حياته الخاصة، ومنهم من كان يتيمًا ضعيفًا لا يؤوبه له، ولا يلتفت إليه، ولكن كان له أم صالحة أثرت في حياته العلمية والعملية.

وهذه إشارة إلى علماء أكابر كانوا من جملة اليتامى الذين سطع نجمهم بفضل الله ثم بفضل أمهاتهم.

أم فضيلة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ

(١) «سيرة الإمام أحمد» (ص: ٣٣).

من منا من طلبة العلم لا يعرف هذا الإمام العالم البحر الحبر، الذي قيل فيه إنه كان مكتبة متنقلة؟ هو المدرس في المسجد النبوي الشريف، صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن».

الحديث هنا ليس عن ترجمته وحياته، وإنما عن دور أمه الصالحة في مسيرته.

كان وحيدها، يتيمًا صغيرًا، وقلب الأم أرقّ ما يكون على من يكون في هذا الوضع، ولا تكاد تقوى على فراقه ساعة من نهار.

ولكن هذه الأم الصالحة جهزته للرحلة في طلب العلم، وشجعته وأشعرته بفرحها ومنتهى سرورها للسبيل الذي سيسلكه.

فها هو يحكي موقف بدايته ونقطة انطلاقه، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولما حفظت القرآن وأخذت الرسم العثماني وتفوقت فيه على الأقران، عنيت بي والدي وأخوَالي أشد عناية وعزموا على توجيهي للدراسة في بقية الفنون.

فجهزتني والدتي بجملين، أحدهما عليه مركبي وكتبي، والآخر عليه نفقتي وزادي، وصحبني خادم ومعه عدة بقرات.

وقد هيئت لي مركبي كأحسن ما يكون من مركب وملابس كأحسن ما تكون، فرحًا بي وترغيبًا لي في طلب العلم.

وهكذا سلكت سبيل الطلب والتحصيل[(١)].

(١) من كتاب: «مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» ص: ٣٥).

أم الشيخ العلامة المحدث مفتي الديار اليمنية ومجدد السنة مقبل بن هادي الوادي رَحِمَهُ اللهُ

نشأ الشيخ مقبل بن هادي الوادي في بيئة يعلوها الجهل ويسود فيها المذهب الرافضي، ولا تكاد تذكر فيها السنة.

وقد اختاره الله سبحانه فأحيا به العباد وأنار به البلاد، وجعل على يديه ما لا يُخفى، حتى قيل عن مركزه في دماج إنه أكبر مركز سلفي في العالم.

وذكره هنا في هذا المقام لموقف والدته -رحمها الله- الذي ذكرته أم عبد الله بنت الشيخ مقبل - رَحِمَهُ اللهُ - في كتاب «نبذة مختصرة من حياة والدي العلامة مقبل بن هادي الوادي وسيرته العطرة».

قالت -حفظها الله-: «مات أبوه رَحِمَهُ اللهُ وهو صغير لا يعرفه، فعاش يتيمًا، وبقي في حضانة والدته رحمها الله فترة.

وكانت تطلب منه أن يشتغل في المال، وتأمره أن ينظر إلى حال مجتمعه كي يكون مثلهم، فيعرض عن ذلك ويقول لها: سأذهب أدرس، فتقول له: الله يهديك، تدعو له بإهدائية كما أخبرتني غير واحدة من القريبات اللاتي أدركن ذلك الحين، ولعل دعوة والدته وافقت ساعة استجابة فصار من المهتدين، وصار هاديًا مهديًا، وعالمًا شهيرًا، تحسبه زكيًا».

وقالت في الحاشية: «كنت قد سألت الوالد - رَحِمَهُ اللهُ - عن هذا لأثبت، فابتسم وقال: ما أدري».

لعطية سالم

أم الشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء في زمانه - رَحِمَهُ اللَّهُ -، صاحب العلم الغزير، والخُلق الوفير، والسيرة العطرة التي انتشرت في الآفاق.

كان الشيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ - طفلاً صغيراً يتيماً لأم صالحة.

وذكر عنه أنه كان في أول عمره ضعيف الجسم، لا تكاد تحمله رجلاه، ولم يستطع المشي إلا بعد بلوغه الثالثة من عمره.

عاش في كفالة هذه الأم الصالحة ورعايتها، وتلقى منها نصحها وتوجيهها وتأديبها، فخرج إمام زمانه، وعلامة عصره وأوانه.

أم سماحة الشيخ هي هيا بنت عثمان بن عبد الله بن حزم، توفيت سنة (١٣٥٦هـ) -رحمها الله- وسماحة الشيخ في السادسة والعشرين من عمره.

ولد الشيخ عام (١٣٣٠ هـ)، ونشأ يتيمًا إذ توفي والده وهو في عمر ثلاث سنوات، نشأ في بيت علم وصلاح، إذ حرصت أمه -رحمها الله- على توجيهه لحلق العلم والتربية على الأخلاق الحسنة.

ذكرت إحدى الكاتبات مقالًا سمعته من ابنة الشيخ، الجوهره بنت عبد العزيز، وذكرت فيه دور أمه -رحمها الله- وأنها كانت تدفعه للصلاة في المسجد رغم صغر سنه، وتنتظره عند الباب حتى يعود، فيذهب ليصلي، رغم البرد والطين وانعدام الكهرباء حينها، ثم يحضر دروس العلماء المقامة في المسجد، حتى أن شيخ الحلقة لا يجد سواه في بعض الأحيان لأن أكثر

المصلين قد انفضوا لبيوتهم بسبب البرد، فيقول: هل هناك أحد؟ فيجيبه الشيخ عبد العزيز -وهو طفل صغير حينها- يقول: أنا عبد العزيز، فيرد عليه شيخ الحلقة: فيك البركة يا عبد العزيز، فيعطيه درس العقيدة(١).

وقد سئل - رَحِمَهُ اللَّهُ -: سماحة الوالد هل كان لأحد والديك تأثير عليك في طلب العلم؟

فأجاب - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

نعم والدتي -رحمة الله عليها- والدي مات وأنا صغير وأنا ابن ثلاث سنين لكن والدتي -رحمة الله عليها- تشجع وتحرض على طلب العلم والتفقة في الدين. توفيت سنة ست وخمسين وأنا ابن ست وعشرين سنة -رحمها الله-.

وقال - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وبقيت في حضانة الوالدة هيا، وكان لي أخ موجود معنا في المنزل، وهو أكبر مني سنًا من أمي يدعى إبراهيم بن عبد الرحمن بن سيف، وأخ آخر شقيق يدعى محمدًا، كانا يلاحظان البيت ويجتهدان بالقيام بما يلزم، ولكن الوالدة هي التي كانت تقوم علينا جميعًا، وكان فضلها علينا كبيرًا في التربية وغرس الصفات الحميدة في نفوسنا(٢).

والدة الشيخ وذهاب بصره:

حدثنا الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز، قال: حدثني الشيخ سعد بن عبد

(١) «شذرات عطرة وقطوف نديّة» للكاتبة/ حنان أبو وردة.

(٢) انتهى من محاضرة صوتية بعنوان: «رحلتي مع الكتاب».

المحسن بن باز، أن لوالدة الشيخ عبد العزيز جارّة صالحة، ولما أصيبت عيناه شـق ذلك على والدته، فقالت هذه الجارة الصـالحة: «لا تحزني، ولكن ادعي الله له بعد أخذ بصره أن يعوضه البصيرة».

فدعت له، وأخذت تلح في الدعاء له.

وحدثنا بتفصيل أكثر الشيخ عبد الرحمن بن ناصـر بن جابر - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أن سـماحة الشـيخ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لما فقد بصـره دخلت جارت الدته بدخنة - زوجة الأمير عبد العزيز بن تركي آل سـعود- عليها وهي تبكي على ولدها الجالس بجوارها، فسـألتها: لماذا تبكين؟ فقالت: إن عبد العزيز فقد بصـره، فمن يعتني بشـؤونه؟ فقالت لها: البكاء لا يرد شـيئًا، ولكن اسـتعيني بالله وتوضـئي وصـلي لله ركعتين، واسـأليه كما أخذ بصـره أن يعطيه علمًا ينفعه وينفع المسلمين.

قلنا: لعل دعاء هذه الوالدة الصـالحة المشـفقة اسـتجيب في هذا الغلام الضعيف، فصار عالم الأمة ومجدد العصر، فلا يعجزن أحد في الدعاء[1].

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ (رحمه الله تعالى)

لقد كان طفلاً يتيمـًا لأم صـالحة، توفي والده وعمره ثمان سـنوات، وكان والده حافظًا لكتاب الله وإمامًا للمصلين في أحد المساجد.

(١) «انتهى من كتاب: «ترجمة سـماحة الشـيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠-١٤٢٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ »، أعده واعتنى به: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم ومحمد زياد بن عمر الشكلة.

ويذكر سماحته أنه لا يذكر عنه شيئًا لصغر سنه حين وفاته.

ولكنه يذكر أمه، وهي سارة بنت إبراهيم الجهيمي، أو تذكر له فيثني عليها ثناءً عظيمًا، ويذكر أنها رعتهم حق الرعاية وربتهم أحسن تربية، وكانت حريصة عليهم في صلاتهم ودراستهم، ويشق عليها أن يتخلفوا عن الدراسة.

وكانت توقضهم للصلاة دائمًا، وذكر أنها كانت عبادة تقرأ القرآن كل يوم، تختمه في قرابة شهر، وتصوم الاثنين والخميس والمواسم، وكانت على خلق طيب، غفر الله لها.

كانت أمه -رحمها الله- رحيمة رقيقة، سخَّرت هذه الرحمة في تربية أولادها على الدين، ولا شك أن هذه الرحمة النافعة ستكون بهم في أمور دينهم رحيمة، وكان حفظه الله بها رحيمًا بارًا، ذاكرًا لفضلها، شاكرًا لإحسانها، داعيًا لها، وذكر أنه كان لا بد أن يمر من عندها قبل صلاة الفجر كل يوم.

يقول -حفظه الله-: «وكانت بنا محسنة وبارة، ولما قدر الله عليَّ وشاء فقد بصري في عام واحد وثمانين، كانت تأتي المستشفى وتبحث عن محلي، وكنت في حجرة مع أكثر من خمسة نفر، فكانت تخجل من الدخول وتبقى في السيب نائمة ارتقابًا لو احتجتُ حاجة. ثم نُقِلتُ حجرة مستقلة فكانت تنام معي، وحتى إنها قالت للطبيب: إن كان يمكن أن أخذ إحدى عيني لأبني فخذوها -من عظم البر والحنان-».

قال لها الشيخ محمد بن إبراهيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: «يا أختي، هذا أمر قضاه الله وقدره، وارضى عن الله، نحن كلنا أكفاء.

قالت: «يا شيخ محمد لو أعلم أن عيني تؤخذ لأمرت يأخذها».

غفر الله لها وأحسن إليها كما أحسنت إلينا.

ويتكلم عنها سماحته مرة أخرى فيقول: «ولقد شهدنا من أمهاتنا -غفر الله لها- من العناية بنا في صغرنا الشيء الكثير الذي لا أستطيع أن أعده وأحصيه.، منها يوم من الأيام وأذكر ذلك -غفر الله لها- أني خرجت للمسجد لتعلم القرآن في يوم شتاء بثوب رقيق استعجلاً مني لإدراك القراءة؛ فما شعرت إلا وهي تسبقني عند المسجد تخلع ثوبي الرقيق وتكسوني الثوب الصوف الغليظ، يعني نفسها ما طابت حتى جاءت من البيت تصحبني إلى المسجد.

أنا كنت مسرعًا وسبقتها ولكنها جاءت قبل أن أدخل المسجد»[1].[2]

---

(١) «انتهى من مقطع مسجل بصوته».

(٢) كل ما ذكرته في هذا الباب منقول من كتاب «الأم مدرسة» لأحد المؤلفات ولم تذكر اسمها.

شبهاتُ المانعين والردودُ الهادئة

كثيرًا ما يواجه طالبُ العلم في طريقه موانعَ من أهله أو مجتمعه، تُلبَّس فيها الشبهات بثوب النصيحة، ويُقدَّم العذر بلباس الشفقة وكلها أوهام مردودات، منشؤها ضعف اليقين، وقلة الفقه في دين الله.

ولأن هذه الشبهات تكررت على ألسنة الناس جيلاً بعد جيل، لزم أن تُعرض ويجاب عنها بالهدوء والبيان، حتى يتبين أن العلم أصل كل خير، وأن المانع منه خاسر حائل بين ولده وبين مجد الدنيا ورفعة الآخرة.

فمن صدّ أبناءه عن العلم فقد صدّهم عن نور الهداية، ومن فتح لهم أبوابه فقد فتح لهم أبواب الرحمة والبركة فمن تلك الأقاويل:

نخاف أن يتأثر برفقة أو أفكار!

والجواب: الخوف إنما هو من الفراغ والجهل، أما مجالس العلم فهي حصون إيمان، يلتقي فيها طلاب العلم بالقرآن والسنة، فيزكو العقل ويثبت القلب.

ومن لازم العلماء الربانيين السلفيين سلِم من الانحراف بإذن الله، ومن تركهم صار عرضة للتيه والضياع.

قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

البنت لا يناسبها إلا بيتها ومطبخها!

والجواب: البنت نصف المجتمع، وهي مربية الأجيال، فكيف تقوم بدورها بغير علم؟

العلم يحفظها من الجهل، ويعلمها ما تحتاج إليه من دينها، ويجعلها حصنًا لأهلها وزوجها وأولادها.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ:

«مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ».

فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟

فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ»(١).

وهذا دليل أنهن شريكات في طلب العلم.

من يضمن له النجاح في العلم؟!

والجواب: الضامن هو الله، فمن صدق في نيته وأخلص في طلبه وفّقه الله، وأعانه، وفتح له أبواب الفهم.

---

(١) البخاري (١٠١)، مسلم (٢٦٣٣).

العلم ليس ذكاءً مجردًا، وإنما توفيق وتسديد من رب العالمين، يُعطى لمن صدق وصبر.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ»(١)

سيتأخر زواجه!

والجواب: الزواج رزق مكتوب، لا يمنعه طلب العلم ولا يعجله الانشغال بالجهل.

من طلب العلم زاده الله رفعة فصار مرغوبًا، والعلم يزيد المرء وقارًا فيُبتغى للزواج ولا يُزهد فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٣٢﴾ [النور: ٣٢].

العلم يحرمك المال ويجعلك فقيرا!

والجواب: بل العلم هو الذي يفتح أبواب الرزق ويهدي العقول إلى الكسب الطيب.

به يعرف الحلال من الحرام، وبه ينال العبد بركةً في عمره وماله.

الجاهل قد يأكل بلا بصيرة فيسقط في الحرام، أما العالم فيأكل برضا الله.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول:

(١) مسلم (٢٦٦٤).

«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»(١)

الجهد في العلم كبير ولن يحتمله!

والجواب: كل طريق عظيم لا بد له من صبر، وأشرفها طريق العلم.

التعب فيه عزّ، والمشقة فيه رفعة، ومن صبر اليوم قطف ثمار غدٍ.

ومن استثقل العلم فقد استثقل ميراث الأنبياء. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(٢)

يكفي أن يكون صالحًا فما حاجته للعلم!

والجواب: كيف يعبد الله على جهل؟

ومن جهل حدود الله وقع في الخطأ وهو لا يدري.

العلم هو الذي يهدي الصالح إلى الصواب، ويعصمه من البدع والانحراف.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٧)، وحسنه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٣٢).

(٢) البخاري (٦٤٨٧)، مسلم (٢٨٢٢).

طلب العلم يضعف بحق الوالدين!

والجواب: أعظم برٍّ للوالدين أن يرى الأبوان ولدهما عالمًا يرفع الله به شأنهما في الدنيا والآخرة.

العلم سبب لدعائهما وتوجيههما، وهو شرف يلحق بهما من بعده. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١)

العلماء كثير فما حاجة الناس إليك!

والجواب: الأمة أحوج ما تكون إلى العلماء الربانيين، وكل جيل يذهب علماؤه فيبقى فراغ يحتاج إلى من يملأه. الأمة لا تبقى إلا بالعلم، ولا تقوم إلا بالفقهاء.

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

العلم يسبب الكبر والغرور!

والجواب: الكبر مذموم، لكنه من الجهل لا من العلم.

العلم الصحيح يزيد صاحبه خشية وتواضعًا لله، ويهذّب قلبه ويقوده إلى

(١) رواه مسلم (١٦٣١). «كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته»

التقوى.

من طلب العلم لله لم يزده إلا خشية وخضوعًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

الخلاصة

العلم أصلُ الفضائل ومنبعُ المكارم، به تُحفظ الأديان وتُصان الأبدان وتُعمَر الأوطان.

فمن صرف أبناءه عنه فقد صرفهم عن مجدٍ لا يُدرك، وتركهم في بحر الجهل يغرقون.

العلم ميراثُ الأنبياء، وحصنُ الأولياء، وزينةُ الأبناء والبنات، لا يورث الكبر بل يورث الخشية، ولا يجلب ضياعًا بل يجلب هدى ونورًا.

فطوبى لأسرةٍ أعانت أبناءها على طلب العلم، وأعدّت لهم به زادًا ليوم المعاد، والعاقل من جعل العلم وصيته وذخيرة أهله، فهو أصل كل خير، ومفتاح كل بر، وطريق النجاة في الدارين.

مسألة:

حكم الرحلة لطلب العلم بغير رضى الوالدين أو أحدهما؟

هذه المســـألة من النوازل التي تطرأ على طلاب العلم كثيرًا، وتحتاج إلى ضبطٍ بين أصلين عظيمين:

١-حق الوالدين بالبر والطاعة.

٢-حق النفس بطلب العلم الذي هو رفع الجهل عنها.

والجواب والله الموفق للصواب:

إذا كان الوالدان أو أحدهما محتاجًا إلى ولده حاجة ضـــرورية، كأن يكون الولد قائمًا على نفقتهما، أو علاجهما، أو خدمتهما التي لا يقوم بها غيره؛ فحينئذٍ يجب عليه البقاء، ولا يجوز له الرحلة في طلب العلم؛ لأن برّهما في هذه الحال آكد من الرحلة.

وله أن يجتهد في تحصيل العلم عبر الوسائل الممكنة كالدروس الصوتية، أو حلقات التعليم القريبة، أو التعلم عن بُعد.

وهذا هو العدل الذي يجمع بين أداء الحقوق والحرص على الاستقامة.

يقـول الله تـعـالـى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

هذه الآية من أعظم الآيات في بيان حق الوالدين، إذ قرن الله طاعتهما بعبادته.

فالبرّ ليس أمرًا ثانويًّا أو مستحبًا فحسب، بل هو فريضة جازمة، لا ينفك عنها مسلم يرجو رضا الله.

والإحسان يشمل القول الطيب، وخفض الجناح، وخدمة البدن، وبذل المال، والدعاء لهما.

ولما كان التوحيد أساس الدين، كان بر الوالدين أعظم الواجبات بعده مباشرة.

فمن قصّر في هذا الباب، خسر أعظم باب من أبواب الجنة.

ويقول الله ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾ [العنكبوت: ٨].

الوصية من الله تعني العناية البالغة بالحق المذكور، ومن هنا كان برّ الوالدين مقرونًا بلفظ الوصية في غير موضع.

و﴿حُسۡنٗاۖ﴾ تشمل اللطف في المعاملة، والإكرام في القول، والإعانة في الشؤون، والرحمة في التعامل، فهي كلمة جامعة لأنواع البر كلّها.

ومَن تدبر هذه الآية علم أن البر ليس مجرد ردّ الجميل، بل هو عبادة يُتقرب بها إلى الله.

ولهذا جعلها الله وصية لازمة، لتبقى في وعي المسلم حاضرًا في حياته كلها.

وقال الله ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي

عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [سورة لقمان: ١٤].

في هذه الآية تفصيل لِما بذلته الأم من جهدٍ عظيم، إذ تحمل ولدها ضعفًا بعد ضعف، وتغذيه من جسدها، وتحتمله في مشقة متتابعة، ثم يأتي الفصال بعد عامين، ليكتمل مشهد التعب والتضحية.

ومن تأمل هذه الحال، علم أن البر هو أقلّ ما يُقابل به هذا الإحسان العظيم. لذلك جاء الأمر بالإحسان مطلقًا، ليشمل خدمة البدن، والقيام بالحقوق، والدعاء، وحسن العشرة.

وهذه الآية تبعث الحياء في قلب الولد: كيف يقابل التضحية بالعقوق؟ وكيف ينسى من كان سبب حياته؟

فما حاجةُ طلب العلم إذا كان صاحبه يضيّع حق والديه؟

وما قيمةُ الحفظ والفهم إن خلا القلب من الرحمة والبر؟

العلم الحقّ هو الذي يقود إلى برّ الوالدين، ويعلّم المرء أن أعظم القربات بعد التوحيد رعاية من كانا سبب حياته.

إنّ العلم بلا برّ قشور لا ثمر لها، وألفاظ لا روح فيها، ومَن طلب العلم ليهمل حق أبويه فقد خالف مقصوده.

وما فائدة أن يطلب المرء ميراث الأنبياء، ثم يُقصّر في حق من أوجب الله عليه برّهما في كتابه؟

فليعلم الطالب أنّ العلم قائد لكل خير، وأول دلائله أن يزيده خُلقًا وخشية، وبرًّا ووفاءً.

ومن قصّــر في ذلـك فما نفعه علمه، ولو جمع بين دفتيه علوم الأولين والآخرين[1].

الأمر الثاني إذا لم يكن الوالدان بحاجةٍ إلى الولد

فإن لم يكن الوالدان أو أحدهما في حاجةٍ ماسّة إلى الولد، وإنما كان المنع بـدافع الخوف أو الوهم أو الحـذر الزائـد، فهنـا يجتهـد الابن بكـل ســبيـل لإرضـائهما؛ بالكلمة الطيبة، والشرح الرفيق، والدعاء في ظهر الغيب أن يشرح الله صدريهما ويحبب إليهما هذا الطريق.

فإن بذل الأســباب ولم يوافقا، فله أن يرحل في طلب العلم، غير آثم ولا عاق إن شـاء الله، ويسـأل الله أن يجعل والديه راضــيين عنه ولو بعد حين، وأن يفتح له أبواب التوفيق في العلم والعمل.

وكم من ولدٍ رحل في طلب العلم وقد كان والداه أو أحدهما غير راضٍ عن طلبه للعلم، ثم لما حفظ القرآن، واشــتغل بالســنة، وصــار داعيًا إلى الله، وخطيبًا مفوهًا، ورجع إليهما بخلقٍ حسن وخدمةٍ صادقة، تغيّر حال والديه من

(١) بقي ما يتعلق بالعلم الواجب عَينًا مثل تعلم أركان الإســلام والإيمان وما تصــح به العقيدة والعبادة لا يتوقف على إذن الوالدين أصـلًا، لأنه فرض عين على كل مسـلم، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «طلب العلم فريضــة على كل مســلم» رواه ابن ماجه.
وأما العلم الواجب كفايةً أو المستحب، فهو الذي يُنظر فيه إلى إذن الوالدين والحاجة إليهما؛ فإن كانا في حاجة ماسّة للولد فالجلوس عندهما أولى، وإن لم يكونا محتاجين فالانطلاق للعلم أَولى.

المنع إلى الفخر، ومن الاعتراض إلى الدعاء له بالتوفيق.

وهكذا يبدل الله الأحوال: من خشـــية الفقر إلى الاطمئنان بالرزق، ومن الخوف على المستقبل إلى اليقين أن العلم هو أعظم مستقبل.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذه الآية وعدٌ صـريح أن المجاهد في سـبيل الله، ومنه طالب العلم، ينال الهداية والتوفيق، وأن الله معه بعونه ونصره

نقل فتاوى العلماء في هذه المسألة

فتوى الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ

جاء في «الجامع لعلوم الإمام أحمد – الأدب والزهد» (٢٠/ ١٠٩) قال:

سمعت أبا عبد الله وسئل عن: الرجل يستأذن والديه في الخروج في طلب الحديث، وفيما ينفعه؟

قال: إن كان في طلب علم فلا أرى به بأسًا، إن لم يستأمرهما في طلب العلم، وما ينفعه. اهـ

فتوى الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام النووي كما في «فتاوى النووي للعطار» (ص٩٥):

وله السفر في طلب العلم بغير إِذنهما. اهـ

فتوى الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

فقال السائل: ذهبت من بلدي إلى طلب العلم، ولكن والدي غير موافقين، فهم طلبوا مني عدم الذهاب، وأنا ذهبت للإفادة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

طلب العلم واجب، فإذا كان في بلدك ما عنده علماء يطلبون العلم عليهم؛

فإن طلب العلم واجب، عليه أن يسافر في طلب العلم الشرعي، ولو لم يرض والداه بقدر الحاجة، يسافر بقدر الحاجة، ويتعلم ما لا يسعه جهله من دين، ثم يرجع إلى والديه، ويستسمحهما بالكلام الطيب، والأسلوب الحسن، أو يتوجهون جميعًا إلى بلد العلم إذا استطاع ذلك؛ لأن هذا أمر لازم، طلب العلم واجب(١).

وفي موضع آخر هذا المستمع من اليمن صنعاء يقول يا سماحة الشيخ: هل يجوز الخروج لطلب العلم بدون إذن الوالدين، إذا كان الطالب لا يتمكن من تحصيل العلم في بلد الوالدين، علمًا بأن له إخوة قد يقومون بخدمة الوالدين؟ وجهونا في ضوء ذلك.

فأجاب فضيلته:

نعم، إذا كان هناك من يقوم بخدمتهما يخرج في طلب العلم يلزمه الخروج لطلب العلم والتفقه في الدين.

أما إذا كانا في حاجة إليه وضرورة إليه فيبقى عندهما ويطلب العلم في البلد، يجمع بين المصلحتين(٢).

فتوى علماء اللجنة الدائمة

جاء في «فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى» (١٢/ ٧٨):

---

(١) انظر الفتوى في موقعه على شبكة الإنترنت https://binbaz.org.sa/fatwas/2250/

(٢) انظر الفتوى في موقعه على الشبكة https://binbaz.org.sa/fatwas/17462

هل طلب العلم المفروض مشترط فيه إذن الأبوين أم لا؟

فأجابوا:

طلب العلم الذي يتوقف عليه صحة إيمانك وأداء الفرائض، لا يتوقف على إذن الوالدين، وما كان من العلوم فرض كفاية فاستأذن فيه الوالدين.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء			
عضو	عضو	عضو	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

فتوى الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «تفسير العثيمين: آل عمران» (١/ ٤٩٣):

ولو قال أبوك: يا بُني لا تطلب العلم، فهل الإنسان يمتثل أمر أبيه في هذه الحال؟. لا.

ومن أحسن ما رأيت في هذا الموضوع ما قاله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إنه لا تجب طاعة الوالدين في ترك أمرٍ ينفعك ولا يضرُّهما**»

هذا كلام جيد يُكتب بماء الذهب، فكل شيءٍ ينفعك ولا يضُرُّ والديك فإنه لا تجب طاعتهما فيه، كما لو طلبتَ العلم ولا يرد على هذا مسألة الجهاد -أن بر الوالدين أفضل من الجهاد- لأن الجهاد فيه تعريض للنفس بالقتل،

والقتل يُقلق راحة الوالدين.

وقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٣].

مستسلمون شرعًا وقدَرًا، لكن الاستسلام القدري لا مدح فيه، لأنه سيكون سواء قلته أم لم تقله، لكن يُحمد على الصبر عليها؛ لأن الصبر على المصائب استسلامٌ شرعي. اهـ

وجاء في «اللقاء الشهري» (٣٨/ ٢٣ بترقيم الشاملة آليا): السؤال

فضيلة الشيخ: أنا طالب علم في الجامعة وأهلي يطلبون مني ترك الدراسة في الجامعة، وأن أعمل في المدينة التي يسكنونها، مع أني إذا عملت في هذه البلدة أو غيرها فإني أخشى من قسوة قلبي، مع أني قد جربت ذلك قبل الجامعة، فهل دراستي في الجامعة والحال هذه من عقوق الوالدين؟

الجواب

ليس هذا من عقوق الوالدين، إذا كان اغترابك عن أهلك وعن وطنك أكثر لعلمك وأقوى لإيمانك فعليك به.

وليس هذا من عقوق الوالدين، ويمكن أن تزور والديك في الشهر مرة أو مرتين حسب ما يتيسر لك، ويمكن أيضاً أن تتصل بهم صباحاً ومساءً بواسطة الهاتف، لو فرض أن الوالدين مضطران اضطراراً تاماً لك فحينئذٍ نقول: لا بد أن تدفع ضرورتهما.

أما والأمر ليس فيه حاجة لكنهما يحبان أن تكون عندهما، وأنت ترى أن وجودك في البلد الذي هم فيه يؤثر عليك، الحمد لله ابق في البلد الذي يزداد فيه

علمك وإيمانك، ويمكنك أن تبر والديك بطرق متعددة. اهـ

فتوى الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال السـائل: ما حكم طلب العلم والرحلة إليه في حالة عدم رضى الوالدين؟

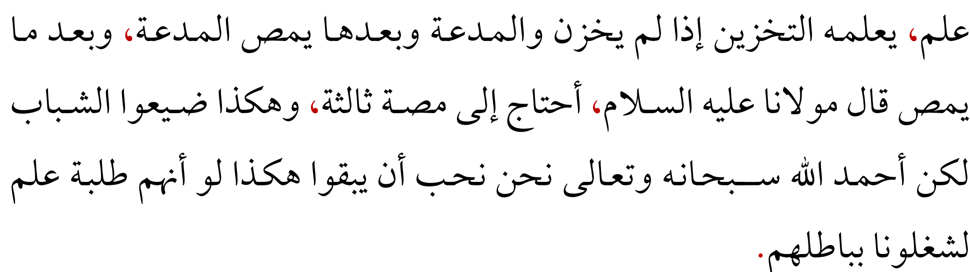
فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

لا بأس بذلك إذا كانا لا يحتاجان إليه في النفقة عليهما، أو لا يحتاجان إليه لخدمتهما فلا بأس بذلك.

وكثيرٌ من الوالدين منهم من لا يحب العلم ولا يدري بقدر العلم، ومنهم من قلبه مقطوع على الدنيا يريد أن يريد ان يدرس ولده حتى ولو ذهب إلى أمريكا، أمر طيب !!، يذهب يدرس، يكمل دراسـته، والبنت التي في الجامعة هذا المسـكين يا إخوان ربما تذهب إلى أمريكا تكمل دراسـتها تخصصـات هنالك.

وأما إذا طلبت العلم فأنت عندهم قد مسخت، مثل هؤلاء ربنا يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف:٢٨].

أبوه صوفي، يبغيه يموت ولا يتعلم السُنة، أبوه شيعي من شيعة صنعاء هم وسط، ما هم مثل شيعة صعدة، أما السُنة ما يعني يطمأنون إليها، يا بني، اذهب و ادرس عند سيدك علي وسيده علي هذا عمره ستون سنة ما قد خرج طالب



علم، يعلمه التخزين إذا لم يخزن والمدعة وبعدها يمص المدعة، وبعد ما يمص قال مولانا عليه السلام، أحتاج إلى مصة ثالثة، وهكذا ضيعوا الشباب لكن أحمد الله سبحانه وتعالى نحن نحب أن يبقوا هكذا لو أنهم طلبة علم لشغلونا بباطلهم.

فالأمر أنه يجوز وقد أفتى الأمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله ابن هاني في مسائله أنه يجوز للرجل أن يطلب العلم وإن لم يرض والداه. اهـ(١)

فتوى فضيلة شيخنا صالح الفوزان حفظه الله

قال السائل فضيلة الشيخ وفقكم الله هذا سائل من هولندا: يقول إنه أسلم ويريد طلب العلم الشرعي فقد قبل في الجامعة الإسلامية لكن أمه لا ترغب في ذلك فهل عليه طاعتها وترك طلب العلم الشرعي مع أن أمه غير مسلمة؟

فأجاب حفظه الله:

لا، لا يجوز له ذلك يطلب العلم الشـرعي ويَبَرّ بأمه يقنعها بإمكانه أن يقنعها في هذا.

أما أنه يمتنع من العلم الشـرعي لأجل أمه تمنعه لا يطيعها في هذا «إنما

(١) انظر فتوى الشيخ على الرابط وفي تطبيق فتاوى الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ
http://muqbel.net/files/fatwa/muqbel-fatwa1817.mp3
للمزيد من الفتاوى العلمية حمّل التطبيق على جوجل بلاي:
www.play.google.com/?details=com.wahid.muqbel



الطاعة بالمعروف» اهـ[١].

فتوى فضيلة شيخنا عبد المحسن العباد -البدر- حفظه الله

وسئل فضيلة شيخنا عبد المحسن العباد حفظه الله كما في «شرح سنن أبي داود للعباد» (٤٠٢/ ٤٨ بترقيم الشاملة آليا):

فقال السائل: بعض الطلاب تركوا دراسة الطب والهندسة وغيرها من الكليات في جامعات بلادهم والتحقوا بالجامعة الإسلامية وأهلهم غير راضين بذلك، فهل هذا يعتبر من العقوق؟ وما نصيحتكم؟

فأجاب حفظه الله:

لا ليس هذا من العقوق؛ لأن الإنسان إذا ذهب لطلب العلم ومعرفة الحق والعمل به والدعوة إليه فهذا هو المطلوب، ولكن ينبغي له مع ذلك أن يسترضي أهله، وأن يحسن إليهم، وأن يعمل ما يمكنه من الأمور التي فيها رضاهم.

وأما أن يترك العلم من أجلهم فلا يفعل ذلك، بل يستمر في طلب العلم ولكن يحرص مع ذلك على إرضائهم وتطييب خواطرهم بأي وسيلة ممكنة. اهـ

فتوى فضيلة شيخنا يحيى الحجوري حفظه الله

فقال السائل إلى فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري حفظه الله تعالى

(١) من موقعه في الشبكة https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/18333.

أخٌ من الهند يسلم علينا ويقول:

والدي يأمروني بدراسة الهندسة في جامعةٍ فيها الشرك والتبرجِ والاختلاطِ والدعوةِ إلى شرب الخمر والزنا ونحن نعيش بين أهل الشركِ والبدعِ والخرافات ونجهلُ أموراً كثيرةٍ في أصول الدين وليس عندنا علماء سنة ولا مراكز سنة ولذلك أردت أن أسافر لطلب العلم النافع.

فهل يجوز لي أن استمر في الدراسة في هذا المكان إجابةٍ لوالدي؟ وإذا سافرت لطلب العلم بدون أذنه هل اعتبر عاقاً. وبارك الله فيكم.

فقال حفظه الله:

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هده أما بعد:

فالدراسةُ في مثلِ هذه المواضع التي ذُكِرت في السؤال لا تجوز.

أولاً: لأنها دراسةٌ دنيوية على حساب ضحايا دينية دراسة الهندسة في جامعةٍ فيها الشرك وفيها التبرج والاختلاط والدعوة إلى الزنا وشرب الخمور.

فالبقاء في مثل هذا الحالِ مغامرةٌ بالنفسِ وعرضة لإتلاف الدين.

ثانيًا: الدراسة في مثل هذه الجامعة مع ما فيها من الشرك والدعوة إلى شرب الخمر والزنا والاختلاط والتبرج من أجل طاعة الوالدين لا تجوز ففي هذه الدراسة ارتكاب للمعاصي وارتكاب المعاصي لا يجوز من أجل الوالدين ولا من أجل غيرهم.

فقد ثبت من حديث عمران والحكم بن عمرو الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»

وفي الصحيحين من حديث عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

وهذا الأمر المذكور في الدراسة من أعظم المنكرات وليس من المعروف.

وعلى هذا فينصح السائل بطلب العلم الشرعي علمُ كتابِ الله وسنةِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وبما أنَّ والده تركه لدراسة الهندسة وعلوم الدنيا فليتركه لدراسة العلم النافع العائد عليه بخيري الدنيا والآخرة إِن شاء الله تعالى.

وإذا منعه من طلب العلم فانصرف ولو بغير أذن والده والحال هذا لا يكون عاقاً لوالده.

وليحسن إلى والده بالكلام وليتلطف معه دون أن يطيعه في معصية الله عز وجل لا في هذه المعصية ولا في غيرها.

قال الله عز وجل ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت:٨]

وبالله التوفيق. اهـ[١]

(١) عصر يوم الاربعاء ١/ جمادى الثاني ١٤٣٢هـ انظر للفتوى في موقع الشيخ

رسائل مهمة للأسر والأبناء

الرسالة الأولى: إلى كل طالب علم رجع بعد طلب العلم إلى أهله

يا طالب العلم، اعلم أنك إذا رجعت من رحلتك كنت محطَّ أنظار الناس، ينظرون إليك ليروا: ماذا صنعت بك سنوات الطلب؟

فإن رأوا فيك تواضعًا ولينًا ورفقًا، أحبوا العلم، ورغبوا أن يلتحق أبناؤهم بركبك، وقالوا: هذه ثمرة العلم، وهذا أثره.

وإن رأوا فيك كِبرًا وغلظةً وسوء عشرة، نفروا من العلم، وقالوا: إن كان هذا حال من تعلم، فكيف بغيره؟

فيكون تقصيرك سببًا في صدهم، وعائقًا في إرسال أبنائهم إلى حلق العلم.

تذكر أن سيرتك بعد الطلب إما دعوة ناطقة إلى الله، أو حاجزًا عن سبيله.

فكن في أهلك وأقاربك ومجتمعك برهانًا على أن العلم يهذب الأخلاق، ويزيد البر، ويعمق الرحمة، حتى يُقال: لقد رجع بالعلم نافعًا لا لنفسه وحدها، بل لأهله وجيرانه وبلده.

قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾

https://sh-yahia.net/show_fatawa_1360.html

[الصف: ٣].

فاحذر أن تحمل العلم قولًا وتضـــيعه فعلًا، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم: ٥٠]،

فالذكر الحسن ميراث الصادقين، وما ناله الأنبياء إلا بصدق القول وحسن العمل.

واجعل قدوتك نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي رجع من رحلته مع الوحي بأكرم خُلق، حتى صـار الأعداء قبل الأصـحاب يقولون: ما جُرّب عليه كذب، ولا غدر، ولا فظاظة.

وهكذا ينبغي أن تكون أنت، فإما أن تُحبب الناس في العلم، أو أن تنفرهم بسوء التصرف.

ينبغي أن يكون طالب العلم صـورةً صـافيةً لجمال العلم الذي يحمله، فلا يُرى منه إلا خُلق رفيع، ولسان طيب، وصدر رحيم.

فإن أول ما ينظر إليه الناس ليس ما يحفظه من متون، وإنما ما يظهر في معاملاته وسلوكه.

ينبغي أن يكون طالب العلم رفيقًا في قوله وفعله، عاملًا بوصـية الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فلا تصـدر منه إلا الكلمة الحسـنة التي تُطفئ الخصـومة، وتزرع المودة، وتُلين القلوب.

ينبغي أن يكون طالب العلم لين الجانب، بعيدًا عن الفظاظة والغلظة،

متأســيًا بقول الله تعالى لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فكيف بغيره إذا حمل العلم بلا خلق؟

ينبغي أن يكون طالـب العلم حليمًـا صـبورًا، يتأمـل في حلم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ مع الأعرابي الـذي بـال في المســجد، فلم يزجره زجر الغلاظ، بل قال:

«دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَــجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(١)

بهذا الحلم انقلب الجفاء طاعة، والجهل فقهًا، والبعد قربًا.

ينبغي أن يكون طالب العلم كبير النفس، لا يلتفت إلى إســاءة جاهل، جاء وعن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كنتُ أَمْشــي معَ رَســولِ الله – صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ – وعليه بُرْدٌ نَجْرانِيٌّ غَليظُ الحاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرابِيٌّ، فجذَبَهُ بِردائه جَذْبَةً شـديدةً، فنَظَرْتُ إلى صفْحَة عُنُقِ رسولِ الله – صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ –، وقد أثّر بها حاشِيَةُ الرِداءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِه، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّد مُرْ لي مِنْ مالِ الله الذي عِنْدَك، فالْتَفَتَ إليْه فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ له بعَطَاءٍ»(٢).

فما غضــب ولا انتقم لنفســه، بل تبســم وأعطى، فارتفعت مكانته، وظهر خلقه العظيم الذي وصفه الله به: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤].

(١) البخاري ٢١٧، مسلم ٢٨٥. عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.
(٢) رواه مسلم (١٠٥٧) «كتاب الزكاة – باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة»

ينبغي أن يكون طالب العلم واسع الصدر، عظيم الحلم، حتى مع من أراد أذاه.

وتأمل ما جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضـي اله عنهما، قَالَ: قَاتَلَ رَسُـولُ اللهِ نمُحَارِبَ خَصَـفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْـلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَـارِثِ، حَتَّى قَـامَ عَلَى رَأْسِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟.

قَالَ: «اللهُ».

فَسَـقَطَ السَّـيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟».

قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ.

قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟».

قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ.

قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ»(١).

تأمل هذا الخلق العظيم وكيف كانت ثمرته فما زاده إلا صـفحًا وحلمًا، وكان الحلم أبلغ من السيف، والعفو أنفع من الانتقام.

ينبغي أن يكون طالب العلم في بيته بارًّا، ومع أهله رحيمًا، ومع العصـاة ناصحًا رفيقًا، متخلقًا بأخلاق الدعوة التي تُلين القلوب وتفتح أبواب الهداية.

---

(١) الحديث رواه أحمد (١٤٥١٢) بهذا اللفظ وأصله في «الصحيحين».

فإنما الناس يرقبون أفعاله أكثر مما يســمعون أقواله، ويقولون: هل نفعه علمه؟

فإن رأوا الحسن قالوا: هذا بركة العلم، وإن رأوا السوء قالوا: هذا وباله.

ينبغي أن يكون طالب العلم متذكرًا حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»(١)

فتمام العلم بتمام الخُلق، وزينة الفقه في زينة التعامل، ولا خير في علمٍ لم يُزكِّ النفس، ولم يُجمّل السيرة.

الرسالة الثانية: تُبعث إلى كل أب أو أم أو من يلي أمر المريد للعلم(٢)

إلى والديَّ الكرام، أو من يلي أمري من أهلي وأقاربي وأوليائي...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

لقد نشـأتُ بين أيديكم في رعايةٍ وحنان، وتذوقتُ منكم معنى العطف

(١) أحمد (٨٩٥٢)، صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٢) صـغتها بإسـلوب مباشـر لمن أحب أن يرسـلها لأبويه أو أي أحد ممن يلي أمره أو أهدى له الكتاب.

هذا وإني جعلت الأسـلوب خطاب للأبوين أو أحدهما أو لمن كان ولي أمر لهذا الطالب حال فقد الأبويين من إخوة وغيرهم فمن أراد إرسـال الرسـالة فلينظر ما يناسب من خطاب.

والرحمة، وأدركتُ أنكم لا تريدون لي إلا الخير والصلاح.

ومن برِّي بكم، ووفائي لفضلكم، أن أختار لنفسي طريقًا يرفع شأنكم، ويُخلّد ذكركم، في حياتكم وبعد موتكم، ويكون لكم قربةً عند الله عز وجل.

وليس ثَمَّ سبيل أشرف ولا أكرم من طريق العلم الشرعي علم الكتاب والسنة، الذي هو ميراث الأنبياء، وسبب الرفعة في الدنيا والآخرة.

وإني ما سلكت هذا الدرب طمعًا في دنيا فانية، ولا طلبًا لعرض زائل، وإنما ابتغاءً لرضوان الله، ورجاءً أن أكون سببًا في فخركم يوم القيامة، حين يُقال لطالب العلم:

«اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»(١).

أفلا يسركم أن يقال: هذا فلان، أو هذه أسرة فلان، أو هذا وليُّ فلان، قد نشّأ طالب علمٍ أحيا به الله سنةً، ونفع به العباد؟

إن المال مهما كثر فإنه يفنى، والمنصب مهما علا فإنه يزول، أما العلم الشرعي فإنه أبقى أثرًا، وأطول عمرًا، وأجمل ذكرًا، وأعظم ثوابًا.

وكم أتمنى أن يُكتب في صحائف حسناتكم أنكم أيدتم وساعدتم قريبًا أو وليًّا لكم في طلب العلم، فصار ذلك ذخرًا لكم في الدنيا والآخرة.

فكونوا -رحمكم الله- سندًا وعونًا، لا عائقًا وحاجزًا، وافخروا أن الله قد

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الإمام الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٥/ ٢٨١).



اصطفاكم بأن جعلكم سببًا في قيام طالب علم على طريق الأنبياء، يحمل ميراثهم، ويبلغ رسالتهم، ويضيء للناس دروبهم.

الرسالة الثالثة: نصيحة لكل أسره لهم ولد يطلب العلم أعينوه تؤجروا

يا أيها الآباء والأمهات والإخوة والأخوات، اعلموا أن ولدكم الطالب للعلم ليس لنفسه وحده، بل هو لكم جميعًا.

فكل ساعة يقضيها في حفظ القرآن، أو فهم السنة، أو تعلم الحلال والحرام، هي رصيدٌ في ميزان حسناتكم إن أنتم أعتنموه ودعمتموه.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وليس هناك برٌّ أعظم من أن تُعينوا ابنكم على ميراث الأنبياء، وتدلوه على طريق الجنة، أيها الأُسر، لا تظنوا أن النفقة على طالب العلم ضياع، بل هي أعظم استثمار.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي.

فَقَالَ: مَا عِنْدِي.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١).

(١) رواه مسلم (١٨٩٣)

فإذا أعنتم ولدكم حتى حفظ، أو كتب، أو علّم، فلكم مثل أجره ما دام عمله جاريـًا.

وتأملوا حديث الصحابي الجليل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلين كانا على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أحدهما يحترف (يعمل) والآخر يطلب العلم، فجاء صاحب الحرفة يشكو، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لعلّك تُرزق به»[1].

فانظروا كيف جعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سعي الأخ العامل في ميزان أخيه الطالب، وأن الرزق قد يُفتح للأسرة كلها ببركة واحدٍ منهم اختار العلم.

فيا أيها الوالد الكريم، ويا أيتها الأم الحنون، ويا أيها الأخوة والأخوات: لا تحرموا أنفسكم من هذه الكرامة.

ادعموا ولدكم بالكلمة الطيبة، والمال الحلال، والبيئة الهادئة، والدعاء أوقات الإجابة.

فلعله أن يكون عالمًا يهتدي به الناس، وتكونون أنتم شركاؤه في الأجر.

إن من أعان طالب العلم فقد أعان على نشر الدين، ومن وقف معه فقد وقف مع ميراث النبوة.

وما أجمل أن ينظر الوالد إلى ابنه وهو يعلّم الناس الخير فيقول: هذه ثمرة صبري وإنفاقي، وما أعظم أن ترى الأم الناس يستفيدون من فتاوى ابنها أو دروسه فتقول: هذا ولدٌ ربيتُه، فجعله الله قُرة عينٍ لي في الدنيا والآخرة.

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٥) وصححه الإمام الألباني في «جامع الترمذي» (٢٣٤٤)

الرسالة الرابعة: إلى الزوجة التي تعيق زوجها عن طلب العلم

أيتها الزوجة المؤمنة، يا من جعلكِ الله سكنًا لزوجك، وأمانًا لقلبه، ومفتاحًا لراحته وسعادته.

اعلمي أن زوجك إذا خرج لطلب العلم، فإنه يخرج في سبيل الله، يسعى فيما يُحيي الأمة، ويقوّي الدين، ويُصلح نفسه وأهله ومجتمعه.

فإن أعنته كنتِ شريكة في الأجر، وإن صدَدتِه كنتِ حاجزًا بينه وبين ميراث الأنبياء.

تذكري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»(١)

فهل يليق أن تكوني سببًا في حرمان زوجك من طريق الجنة؟

بل الواجب أن تكوني له معينًا وداعمًا، فتذكري أن ما يتعلمه يعود أولًا عليكِ وعلى أولادك: صلاحًا في الأخلاق، وبركة في البيت، وهداية في التربية.

واعلمي أن الدنيا فانية، وزينتها تزول، أما العلم فإنه يبقى أثره بعد الموت، ويجري نفعه في حياتكم جميعًا.

فلا تجعلي مطالب النفقة أو كماليات المعيشة أو الغيرة من وقته في طلب العلم حاجزًا بينه وبين هذا الخير.

تأملي في نساء السلف، كيف كنّ يودعن أزواجهن للجهاد والعلم والدعوة، وهنّ يحتسبن عند الله، فيرزقهن الله البركة في حياتهن وذريتهن.

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكم من بيتٍ ارتفع ذكره بسبب زوجة صالحة أعانت زوجها على طريق العلم، فصار عالمًا يهتدي به الناس، وصارت هي شريكةً في الأجر.

كوني زوجةً تعتزّين أن الله جعلكِ جسرًا يعبر به زوجك إلى الجنة، وسببًا في رفعة شأنه بين الناس، ولا تكوني معوِّقة تُسجَّل في صحيفة من حجزت علمًا عن الأمة.

فخيرك في إعانته، وبركتك في دعمه، وفخرك أن يُقال: هذه المرأة أعانت عالمًا أو طالب علم، فصارت سببًا في نشر الهداية.

أيتها الزوجة المؤمنة، يا من جعلكِ الله شريكة عمر لزوجك، وسكنًا له، وسببًا في سعادته.

اعلمي أن طلب العلم هو رزق من الله، كما أن النفقة رزق، وكلٌّ قد تكفّل الله به.

قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [سورة هود:٦].

فلا تظني أن خروج زوجك لطلب العلم سيمنع عنه رزقه، بل إن بركة العلم أعظم بركة في الدنيا، فهو يجلب الرزق ويدفع الفقر ويقرّب الأرزاق، وإن قلّت أسبابه الظاهرة.

لا تُضيّقي عليه سبيله بالشكوى المتكررة أو إثقال كاهله بمطالب الدنيا وكمالياتها؛ فإن رزقك ورزقه على الله، وهو الذي يفتح الأبواب المغلقة، ويجعل من القليل كثيرًا.

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(١)

تذكري أن العلم نفسه رزق، بل هو أشرف الأرزاق؛ به يحفظ الله البيت، ويصلح الذرية، ويبارك في المال. وإن أعنتِ زوجك على العلم، كتب الله لكِ مثل أجره، فما تعلمه ونفع به الأمة، كنتِ شريكةً فيه، وهو أعظم ذخر لك في الدنيا والآخرة.

واعلمي أن كثرة التضييق والمطالبة قد تكون فتنة لزوجك، تصرفه عن أعظم ميراث وهو ميراث الأنبياء. فكوني عونًا لا عائقًا، وسببًا للبركة لا للحرمان.

يا أيتها الزوجة المباركة، لا تجعلي مطالب المعيشة بابًا لإطفاء نور العلم في بيتك، بل اجعلي صبرك ورضاكَ سُلّمًا يُصعِد به زوجك في مدارج العلماء.

وثقي أن من ترك شيئًا لله عوّضه الله خيرًا منه، وأن الرزق سيأتي ولو بعد حين، ولكن بركة العلم لا تُعوَّض.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٣٤٣).

رسالة خاصة للأمهات

الرسالة الأولى: إلى كل أم حنونة يرهقها بعد ولدها

يا أمَّ الطالب. يا صاحبة القلب الحنون واليد الساهرة.. إنكِ أول مدرسة، وأنتِ التي غرستِ في قلب ابنك حبَّ القرآن يوم ناغيته بآياته، وأنتِ التي قمتِ على تعليمه الوضوء والصلاة، فلكِ من كل خيرٍ يناله نصيب.

فلا تخافي على ولدك ما دام في رياض العلم، فإنها مجالس تحفّها الملائكة، وتغشاها الرحمة، ويذكر الله أهلها فيمن عنده، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١)

فهنيئًا لك أن ولدك في هذه المواطن المباركة، يرفع الله به درجاتك.

واعلمي أن بقاءه في طلب العلم هو ذخر لكِ يوم القيامة، وفخر لكِ في الدنيا قبل الآخرة، فهو البرّ الممتد، والصدقة الجارية التي لا تنقطع، إذ كل ما

(١) مسلم (٢٦٩٩).

يعلمه للناس يكتب لك في ميزانك.

فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ»[1].

فأنتِ شريكة في كل خير يجري على يديه.

وما أعظم الأمهات اللواتي يهيئن أبناءهن لطريق العلماء، ويصبِرن على غيابهم، ويفتخرن أنهم خرجوا من بيوتهن دعاة هداة، وما أشد حرمان من حرمت ولدها من هذا الشرف لتعلقٍ أو شهوةٍ أو دنيا زائلة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

فكوني أمًّا تباركها الملائكة، ويفتخر بكِ الناس، وتكتبين في صحائف المجاهدات بالصبر والدعاء، ولا تكوني من اللواتي يحجزن أبناءهن عن ميراث الأنبياء، فيُحرمن هم وأبناؤهن معًا.

الرسالة الثانية: إلى كل أسره لا تجعلوا ولدكم يطلب العلم عند أهل البدع والأهواء والتحزبات:

أيها الأب الكريم، ويا أيها الولي الرحيم، اعلم أن ولدك أمانة عندك، وأنك مسؤول عنه يوم القيامة.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(١) أبو داود (٣٥٢٨)، صححه الألباني في «سنن أبي داود» (٣٥٢٨).

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".

قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

فمن أعظم الرعاية أن تحفظ دينه، وتصونه عن موارد الانحراف والبدع.

فلا تدفعه إلى أهل الأهواء، والتحزبات ولا تتركه ينهل من موارد مشبوهة، فإن العلم دين.

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم».

إنك إن أرسلت ولدك إلى مبتدعٍ، كنت شريكًا في إفساده، ومسؤولًا عن ضلاله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، فأنت مأمور بحمايته من مواطن الفتنة، قبل أن تحميه من نار الدنيا.

وتأمل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ:

«الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(٢).

(١) البخاري (٨٩٣)، مسلم (١٨٢٩).

(٢) أبو داود (٤٨٣٣)، الترمذي (٢٣٧٨) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٣٧٧)

فكيف إذا كان خليله وشيخه الذي يتلقى عنه دينه من هؤلاء المبتدعة؟.

أيها الأب المبارك، إن حفظك لولدك من شيوخ السوء أعظم من حفظك له من لصوص المال، فإن لصوص المال يسرقون دنياه، وأهل البدع يسرقون آخرته.

كن له دليلًا إلى العلماء الربانيين، وأهل السنة المعروفين، وامنعه بلطف وحزم عن موارد الضلال، فإن المنع في هذا الباب رحمة، والحرمان نجاة.

واعلم أن من منع ولده عن المبتدعة، فقد أعانه على الحق، وحفظ له صفاء العقيدة، ونال بذلك أجره وأجر ولده إلى يوم القيامة.

الرسالة الثالثة: كيف تعرف أيها الأب علامات أهل البدع كي تجنب نفسك وولدك القرب منهم

اعلموا -رعاكم الله- أن من أبرز علامات أهل البدع أنهم يقدّمون عقولهم وآراء شيوخهم على نصوص الكتاب والسنة، ويتعصبون لجماعاتهم وأحزابهم، فيوالون ويعادون على غير الحق.

ومن علاماتهم كثرة الشبهات والجدال، والتنفير من علماء السنة السلفيين، وتلبيس الحق بالباطل.

تراهم يُحدثون في الدين ما لم يأذن به الله، ويزيّنون للناس الطرق المخالفة.

فمنهم الصوفية الذين غلوا في الأولياء والمشايخ حتى دعوهم من دون الله، وابتدعوا الأوراد والرقص والموالد وغير ذلك من البدع.

ومنهم الأشاعرة الذين عطّلوا صفات الله، وحرّفوا نصوص الوحي عن ظاهرها.

ومنهم الأخوان المسلمون وأشباههم من الجماعات المعاصرة، جعلوا الدين مطية للسياسة، والولاء والبراء عندهم على التنظيم والحزب لا على السنة، ففرّقوا الأمة شيعًا وأحزابًا.

ومنهم أصحاب الجمعيات الحركية والدعوات الفكرية الذين جمعوا الناس على رايات محدثة، وبدّلوا منهج الأنبياء بالتدرج الحزبي والمناهج الوضعية.

ومنهم الخوارج المعاصرون كالقاعدة وداعش، الذين كفّروا المسلمين بغير حق، وفجّروا في بلاد الإسلام، وسفكوا الدماء، وملؤوا الأرض فتنة ورعبًا.

وضلال هؤلاء جميعًا أنهم صرفوا الناس عن الكتاب والسنة، وزيّنوا لهم الباطل بلباس الحق، فخدعوا البسطاء بالشعارات، وأشغلوا الأمة بالخصومات والدماء، وصدّوا عن سبيل الله المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلًا بِمِثْلٍ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ نَكَحَ أُمَّهُ عَلَانِيَةً كَانَ فِي أُمَّتِي مِثْلُهُ، إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً».

فَقِيلَ لَهُ: مَا الْوَاحِدَةُ ؟

قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»(١).

أما أهل السنة والجماعة السلفيون فهم الذين عُرفوا بوضوح المنهج وصفاء الطريق، شعارهم الاتباع لا الابتداع، والرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

من علاماتهم أنهم لا يتحزبون لشيخ ولا لطائفة، بل ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين كافة.

يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات بلا تحريف ولا تعطيل، ويعظمون التوحيد ويحذرون من الشرك صغيره وكبيره، يوقرون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

ومن علاماتهم أنهم لا يكفّرون المسلمين بغير حق، ولا يخرجون على ولاة الأمور وإن جاروا وظلموا، بل ينصحون بالرفق، ويقيمون الدين بالحكمة والصبر.

---

(١) الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٦٣٩).

يتواصــون بالحق ويتواصــون بالصــبر، ويجعلون العلم إمامهم، والعدل زينتهم، والرفق خُلقهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قَالُوا: وَمَا هِيَ تِلْكَ الْفِرْقَةُ ؟

قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1].

الرسالة الرابعة: إلى كل من يمنع قريبه من طلب العلم قد تأثم وليس أي إثم!

المراد بالمنع في هذه الرسالة ليس مجرد الصدّ عن التوسع في العلوم أو الإعراض عن الفضائل المندوبة، وإنما هو المنع من العلم الضروري الذي تعلّمه فرض عين على كل مسلم، كالعقيدة الصحيحة، وأحكام الطهارة والصلاة، وما يحتاجه المرء في عباداته ومعاملاته.

فهذا العلم لا غنى عنه للنجاة، ولا يُعذر أحد بجهله، ومن حال بين ولده وبينه فقد منعه من فرض فرضه الله عليه.

والصدّ عن الفروض كصدّ عن أصل الدين، فهو أعظم إثمًا وأشد خطرًا من ترك النوافل، ولذلك جاءت النصوص بالتحذير الشديد من هذا المسلك فجاء البيان بما يلي:

الذي يصد عن طلب العلم يخشى أن يدخل في قول الله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) وصححه الألباني في «جامع الترمذي» (٢٦٣٩)

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨].

هذه الآية تُظهر أن الصدّ عن سبيل الله أعظم جرمًا من مجرد الكفر، لأنه حرمان للنفس ولغيرها معًا.

فالمذنب يسيء لنفسه، أما الصادّ فيمنع الهداية عن غيره، ومنع الأبناء من طريق العلم الشرعي صورة داخلة في ذلك، إذ يُغلق عليهم باب الرحمة، ومن تأمل الوعيد خاف أن يكون بفعله سببًا لعذاب مضاعف.

الذي يمنع ولده من العلم يخشى أن يدخل في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾ [سورة إبراهيم:٣].

فالمنع من العلم الشرعي غالبًا منشؤه تفضيل الدنيا على الآخرة، والحرص على الشهوات أو العوائد المادية.

لكن الله سماه «ضلالًا بعيدًا» لأنه انحراف في الفطرة والعقل معًا.

إن العلم هو السبيل المستقيم، وقطعه عن الولد ظلم له ولأهله، ومن صدّ عنه فاته خير الدنيا والآخرة.

الذي يصد عن حلق العلم يخشى أن يدخل في قول الله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ [النساء: ١١٥].

فالمؤمنون عبر التاريخ عُرفوا بلزوم حلق الذكر ومجالس العلم، ومن أعرض عن سبيلهم خالف أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وهذا الصـــدّ عن الهدى عاقبته أن يُوكل العبد إلى نفســه، وهو أعظم الخسران.

فلا أمان للوالد أن يكون صــادًّا لولده عن ســبيل المؤمنين، وقد توعد الله من سلك هذا المسلك بجهنم وساءت مصيرًا.

الذي يصد عن العلم يخشى أن يدخل في قول الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١١٤].

فمنع الذكر في المساجد من أعظم صور الظلم، ومجالس العلم والذكر في المساجد من أظهر مظاهر العبادة.

فمن صدّ ولده عنها فقد شابه هؤلاء المانعين، وناله نصيب من وصفهم.

فليتأمل الوالد خطورة أن يكون سببًا في صدّ ذريته عن المساجد ومجالس العلم فيها.

الذي يصد عن حلق الذكر يخشى أن يدخل في قول الله ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٢-٣٣].

فالآيات تبين أن أعظم الظلم ردّ الحق بعد ظهوره.

ومن ردّ العلم على أبنائه فقد كذّب بالصــدق من حيث لا يدري، لأنه صدّهم عن قبول الهداية، وعاقبة هذا الفعل أن يُكتب عند الله من الظالمين.

أما من صدّق به وفتح الباب للخير فقد رُجي له التقوى.

فالذي يمنع ولده من التفقه يخشى أن يدخل في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

«مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَام مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١)

فالذي يمنع من الخير ويفتح طريق الشر يُشبه من دعا إلى الضلالة، لأنه حال بين الولد وبين الهداية.

والإثم هنا يتضاعف لأنه يمتد أثره إلى من تبعه في الانحراف، ومنع الولد من العلم يحمله على الجهل، والجهل يقوده إلى الضلال.

فمن خاف الله لم يرض أن يتحمل أوزار غيره بصدّه عن سبيل الله.

الذي يصد عن العلم يخشى أن يدخل في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٢)

فمنع الولد من طلب العلم يزيد الجهل في الأمة، ويفتح الباب للرويبضة أن يتصدروا.

والحديث صريح أن الجاهل إذا تكلم أضلّ نفسه وأضلّ الناس.

(١) مسلم (٢٦٧٤). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣). عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فمن منع ولده من أن يكون عالمًا راسخًا كان سببًا في بقاء الجهل، وحُرم الأمة من نفعه.

الذي يصد عن العلم يخشى أن يدخل في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»(١)

فمن فتح الباب للولد ليسير في طريق العلم، فقد أعانه على طريق الجنة.

وأما من منعه، فقد صده عن هذا السبيل، وخاف عليه أن يكون من أهل الحرمان.

فالعلم طريق إلى الجنة، ومن أغلقه فقد حال بين ولده وبين أعظم المقاصد.

وذلك خطر عظيم على دينه ودنياه.

الرسالة الخامسة: إلى كل من طلب العلم لا تستوحش من الغربة التي قد تحصل لك من أقربائك

يا طالب العلم، اعلم أن طريق الهدى محفوف بالابتلاء، ومن أعظمها الغربة عن الأهل والخلّان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٠].

فخُصّ إبراهيم بالذكر لأنه وحده قام بحق الله في زمنه، فكان غريبًا بين قومه.

وقال سبحانه: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦].

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالغربة سنة ماضية لأهل الإيمان.

وجاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(١)

والغرباء هم من يصلحون إذا فسد الناس، ومن يتمسكون بالسنة إذا تركها الناس.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(٢)

ففيه وعد أن أهل الحق وإن قلوا فهم منصورون عند الله، محفوظون بعنايته.

وقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك».

فالغربة في طلب العلم شرف، لأنها غربة مع الله ورسوله، لا غربة عن الحق.

فاصبر يا طالب العلم، ولا تلتفت إلى من يعاتبك أو يصدّك، فالعاقبة للتقوى.

واعلم أن الغربة دليل على أنك على طريق الأنبياء والصالحين، فهم أشد

---

(١) رواه مسلم (١٤٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٩٢٠).

الناس غربة في أوطانهم وأهليهم.

ومن صبر على وحشة الطريق، أنس بالله، وكان له في الآخرة مقام محمود.

يا طالب العلم، تذكر أن أشد الناس غربة كانوا الأنبياء عليهم السلام، فنوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وما آمن معه إلا قليل، وموسى عليه السلام عودي من أقرب الناس إليه، ونبينا محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أوذي من عشيرته وقومه حتى أخرجوه من بلده، فكانت الغربة في سبيل الله شعار الصالحين.

ولا تنسَ أن الغربة لا تدوم، بل يعقبها عزٌّ ونصر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٦].

ومن صبر على مرارة الاستيحاش وجد حلاوة الأنس بالله، وصار له من القوة ما يعجز عنه من التف حول الناس.

فالغربة امتحان، لكنها في الوقت نفسه كرامة، لأن الله يختص بها من اصطفاهم لحمل علمه ودينه.

وكلما ضاقت بك الدنيا، فتذكر أن لك في الجنة موعدًا واسعًا، حيث لا غربة ولا وحشة.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

فهذه الآية العظيمة تبين أن التكذيب والأذى طريق سار عليه الأنبياء قبلنا، وصبروا حتى جاءهم نصر الله المؤزر.

فهي تسلية للمؤمنين، وتثبيت لطلاب العلم أن الغربة والابتلاء ليست نهاية المطاف، بل هي خطوة إلى النصر والتمكين.

فمن صبر نال النصرة، ومن جزع حُرم الخير كله.

فاصبر يا طالب العلم، ولا تلتفت إلى من يعاتبك أو يصدّك، فالعاقبة للتقوى.

واعلم أن الغربة دليل على أنك على طريق الأنبياء والصالحين، فهم أشد الناس غربة في أوطانهم وأهليهم.

ومن صبر على وحشة الطريق، أنس بالله، وكان له في الآخرة مقام محمود.

الرسالة السادسة: إلى كل من حول طالب العلم – هيئوا له الأجواء

يا أهل الطالب.

اعلموا أن طالب العلم إذا أقبل على ميراث الأنبياء، كان بحاجة إلى بيئة هادئة، وأجواء نقية، وصدور رحيمة، تشجعه وتعينه.

فأنتم جميعًا شركاء في صنع عالم أو داعية، فإن وفرتم له السكينة والراحة، نما علمه وثبت قلبه بإذن الله، وصار نفعه متعديًا إليكم وإلى الأمة كلها.

طالب العلم يحتاج إلى راحة البال، فلا تثقلوا كاهله بطلبات دنيوية أو شهوات ملهية،

يحتاج إلى تشجيع دائم، فالكلمة الطيبة وقود، والدعاء له سند، والابتسامة في وجهه رفع للهمة.

يحتاج إلى جو من الطمأنينة، فقلوب الطلاب تضعف أحيانًا، والفتور يطرقهم كما يطرق غيرهم، فإذا وجدوا من حولهم معينًا، ثبتوا على الطريق.

هيئوا له مكانًا هادئًا في البيت يراجع مسائل العلم، وأعينوه على ترتيب وقته، وكونوا رحماء بظروفه.

لا تحرجوه بالمقارنات، ولا تحبطوه بكثرة اللوم، بل قوّوا عزيمته بالصبر على طول الطريق، وأخبروه أن كل ساعة يقضيها في الحفظ والمطالعة، هي بناء لصرح عظيم يظل الأمة بعده.

واذكروا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(١)

فإذا كنتم أنتم الداعمين لابنكم أو قريبكم، فلكم مثل أجره إلى يوم القيامة.

فكونوا عونًا لا عائقًا، وسندًا لا مثبطًا، واملؤوا بيئته بالمودة والرحمة والدعاء.

طالب العلم ثمرة بين أيديكم، فإن حفظتموه نما وأثمر، وإن أهملتموه ذبل وضاع.

فكونوا جميعًا –أسرًا وجيرانًا وأصحابًا– في صفه، وستجنون ثمرته بركةً في الدنيا، وأجرًا في الآخرة، وذكرًا حسنًا لا ينقطع.

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٣) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الرسالة السابعة: إلى كل موسوِس يحُرض الوالدين على صرف ولدهم عن طلب العلم

أيها المحرض، اتق الله في نفســك وفي غيرك، ولا تكن ممن قال الله فيهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

إنك حين تُثبّط الوالدين عن دعم ولدهما في العلم، وتغرس في قلوبهما الخوف من الفقر أو المستقبل، أو توسوس بأن طريق العلم ضياع، فإنك بذلك تصدّ عن سبيل الله، وتكون من أعظم المانعين عن الخير.

ألا تعلم أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَــيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَــلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١)

فكيف بمن دعا إلى منع العلم وقطع الطريق على أهله؟

إن إثمك لا يقف عند حدّك، بل يتضــاعف كلما ضــاع شــاب عن طريق الهداية بسبب وسوستك.

أيها الموســوِس، إنك تحمل وزرًا ثقيلًا؛ لأنك لا تصــدّ واحدًا، بل تصــدّ أسرة بأكملها، وتحرم الأمة من ثمرة طالب علم قد يكون بإذن الله عالمًا نافعًا.

ومن صــرف طالب العلم عن مقصــده، كان كمن صــرف الأمة عن إمامها

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)

وهاديها، وهل بعد هذا الإثم إثم؟

اعلم أن الدنيا التي تخوّف بها الوالدين زائلة، والمال الذي تحثّهم على طلبه فانٍ، والمنصب الذي تدعوهم لمطالعته زائل، أما العلم فباقٍ ما بقي الليل والنهار.

فإياك أن تكون شريكًا للشيطان في صدّ عباد الله عن ميراث الأنبياء.

يا من توسوس للوالدين: خف من دعوة مظلوم قد رفع يده إلى السماء، وخف من موقف تُسأل فيه: لِمَ صرفت عبدًا عن طريق العلم؟

وما جوابك إذا قيل لك: حجزت طالبًا عن ميراث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بكلمة أو وسوسة؟ عندها تندم ولا ينفعك ندم، ولن تجديك أعذار.

فتب إلى الله قبل أن يأتي يوم يقال لك فيه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤)﴾ [الصافات: ٢٤].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله يشرق نور العلم والهدايات، وصلى الله وسلم وبارك على سيد البريات محمدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة الكرام، لقد كانت هذه الرسائل نُصحًا، وذكرى عاجلة لكل والدٍ ووالدة، ولكل مربي ومُعلِّم، ولكل طالب علمٍ يسير في الطريق الموحش فلا يستوحش، ويجد في الغربة أنسًا بالله ورفعةً في الآخرة.

إنما قصدتُ من خلالها بيان الفضل العظيم لطريق العلم، وخطورة الصدّ عنه أو التثبيط فيه، ووجوب إعانة الأبناء عليه، فهو ميراث الأنبياء، وزينة الدنيا والآخرة.

فمن أعان على العلم فاز بشرف الدنيا وتاج الوقار في الآخرة، ومن صدّ عنه خاف على نفسه أن يدخل في الوعيد الشديد.

فاللهَ اللهَ في فلذات الأكباد، لا تحرموهم من رياض العلماء، ولا تغلقوا دونهم أبواب الباقيات الصالحات.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



وكان الفراغ من مراجعته في تاريخ ٢٥ ربيع أول/ لعام ١٤٤٧ من هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

جدول المحتويات





تلخيص الفوائد






تمت بحمد الله

صدر حديثًا للمؤلف

